مجلة

الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

العدد الثالث ـ السنة الرابعة ـ محرم ١٣٩٢ هـ فبراير ١٩٧٢ م



الجامعة الإسلامية

مجلة تَصْدُرُ أربع مرات في السَّنة
من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

المراسلات المتعلقة بالتحرير ترسل الى:
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

متعهد التوزيع :
« الدار السعودية للنشر والتوزيع »
جدة: شارع قابل - ص. ب ٢٠٤٣

الدعوة الإسلامية فى افريقية بحاجة الى مزيد من الدعم

الاسلام دين دعوة وعمل ، بل ان كل مسلم سبيله في الحياة أن يدعو إلى الله على بصيرة كما قال تعالى مخاطباً لرسوله — صلى الله عليه وسلم — : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) .

وقال تعالى : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ، وقال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً) .

فكل مسلم مخاطب بالدعوة إلى الله ومأمور بها بقدر استطاعته العقلية ، وقدرته المالية والبدنية .

وبعبارة تتلائم مع تعبير الكتاب العصريين فإن كل مسلم يجب أن يكون مبشراً بالإسلام — أي داعياً إلى الله — باذلاً نفسه وماله في سبيله .

ومن هذا المفهوم للإسلام انطلق أناس من اخواننا المسلمين في افريقية يدعون إلى الله ، ويشرحون لغير المسلمين ما يعرفونه عن الاسلام .

وأكثرهم لا يملك إلاّ قليلاً من العلم ، ولكنه يبذل كثيراً من العمل ويعطي أكثر من التضحية بالوقت والمال . فأثمرت أعمالهم دخول أعداد كبيرة في الاسلام بل لا تكاد تغرب الشمس كل يوم إلاّ وقد شهدت من كان عند طلوعها كافراً فأصبح داخلاً في حظيرة الاسلام قبل غروبها .

والسؤال الذي قد يتبادر للذهن عند سماع هذه الأخبار هو :

ما نـــوع اسلام أولئك المسلمين ؟

وما هي المعلومات والتفصيلات التي نقلها إليهم أولئك الدعاة الذين لا يملكون كثيراً من العلم ، ولكنهم ينفقون كثيراً من العمل ؟

والجواب: بحسب ما شهدته وعرفته أن أول ما يبدؤن بتعليمه الشخص الذي يدخل في الاسلام هو النطق بالشهادتين ، ثم يلبسونه لباس المسلمين حتى يمكنه أن يغشى المساجد ، ويحضر دروس الدين ، ثم يخبرونه بأركان الإسلام ، وفرائضه مجملة إجمالاً يكاد يكون مخلاً لأنهم هم أنفسهم لا يعرفون من أحكام الاسلام وفقهه التفصيلات الدقيقة .

إذاً فهم يعطون للمسلم الجديد كل ما عندهم ولو كان غير مفصل ، ولا شك أنهم معذورون في ذلك لأنهم قد بذلوا جهد طاقتهم ، وما بخل من بذل كل ما يستطيع بذله .

وعلى هذا فإنه يصح القول بأن عدد المسلمين في افريقية يزداد باستمرار ولكن نوعية اسلام أولئك المسلمين ثابتة أو هي لا تزيد زيادة تساير الزيادة العددية مما حمل بعض المفكرين على القول بأننا يجب أن نركز على تحسين فهم المسلمين الحاليين للإسلام حتى يصبحوا مسلمين حقيقيين ، ذوي أثر فعال في المجتمع في بلادهم وبالتالي ذوي أثر فعال في محيط البلاد الاسلامية ككل .

بل وصل الأمر ببعض أولئك المفكرين إلى حدّ المناداة بعدم العمل على مجرد الحصول على الزيادة العددية ، وصرف الجهد إلى تحسين نوعية المسلم هناك .

والقول الفصل في هذا الموضوع أن يكون العمل الإسلامي في افريقية ذا شعبتين رئيسيتين لا غنى لاحداهما عن الأخرى .

احداهما : الدعوة إلى الاسلام وإدخال أكبر عدد من المستحبين للدعوة الاسلاميه إلى الاسلام .

والثانية : تبصير المسلمين ومن يدخلون حديثاً في الاسلام بأمور دينهم ، وتحسين فهمهم للإسلام بإرشادهم إلى ما هم بحاجة إليه .

ولا شك أن هذا العمل يحتاج إلى جهود عظيمة ، من أهمها توفير العدد الكافيَ من الدعاة المؤهلين علمياً وتربوياً لهذا العمل ، وممن أعطاهم الله تعالى الصدق في القول والاخلاص في العمل ، على أن يبدؤا بتثقيف الدعاة المحليين ثقافة اسلامية خالصة من الشوائب .

كما يحتاج الأمر إلى رصد المبالغ المالية اللازمة .

ولكن ذلك — على صعوبته — ليس بمستحيل التحقيق إذا صحت العزائم ، وصدقت النيات .

ففي البلاد الاسلامية من الأشخاص الذين تنطبق عليهم الشروط المطلوبة العدد الوفير والشأن كل الشأن في التفتيش عنهم ، واتاحة الفرصة أمامهم للعمل .

وان في العمل الذي تقوم به المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر تحت قيادة الملك المسلم فيصل بن عبد العزيز — حفظه الله — هو مثال حي للسير في هذه السبيل .

فهناك في افريقية مبتعثون من المملكة عشرات العشرات ، وهناك أعداد تتزايد كل عام من خريجي الجامعة الاسلامية وغيرها ممن عادوا إلى بلادهم تدفع لهم المملكة مكافآت مالية طيبة تعينهم على التفرغ للدعوة الاسلامية ، وأداء واجبهم في ابلاغ قومهم ما تعلموه في مهبط الوحي ، ومنطلق الدعوة الاسلامية . عملاً بقوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

وهناك المساعدات المالية التي تبذل للهيئات والمؤسسات الاسلامية لتحقيق مشروعاتها الاسلامية أو للإسهام في تحقيق تلك المشروعات .

وذلك ليس بكثير على بلاد اختارها الله تعالى لأن تكون مصدر الاشعاع الاسلامي الأول ، وشرّف أهلها بأن كانوا في صدر الدعوة المحمدية السمحة هم حملتها إلى كافة الأمم .

بل ان المسلمين في افريقية يتطلعون إلى هذه البلاد وينتظرون منها المزيد من الخير ، ونسأل الله تعالى أن يحقق آمالهم الطيبة ، ويوفق كل عامل فيهـا للمزيد من العمل النافع للإسلام والمسلمين .

كما أن على كل بلد من البلدان الاسلامية الشقيقة من واجب الدعوة إلى الله بقدر ما منحها الله تعالى من الاستطاعة ، إما ببذل المال ، وإما بتجنيد الرجال ، وإما بالقيام بالأمرين معاً .

ونحن نرى — مع الأسف الشديد — بعض المسلمين يكون لديهم فضل من المال ، فينفقونه في ملذات عاجلة ، أو في أمتعة فانية ، ولو أنفقوه في سبيل الله وعلى المحتاجين إليه من اخوانهم المسلمين ، لنالوا الثوابين ثواب الأجر من الله والذكر الحسن في الدنيا ، ولحصلوا على السعادتين : سعادة الثواب الآجل في الآخرة ، وسعادة اللذة المعجلة التي يشعر بها من أغاث ملهوفاً ، أو فرّج عن مكـروب .

هذا بالاضافة إلى كونهم حققوا معنى الاتباع لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الدعوة إلى الله تعالى .

وحبذا لو وجد في كل قطر من الأقطار الاسلامية التي لا تتبنى حكوماتها الدعوة الاسلامية ولا تنادي بها صندوق لجباية الصدقات والتبرعات لصالح الدعوة الاسلامية في افريقية .

نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويوفق المسلمين إلى الرجوع لكتاب ربهم ، وسنّة نبيهم انه سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل . . .

محمد بن ناصر العبـودي
الأمين العام للجامعة الاسلامية بالمدينة

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - المدرس بالجامعة

ـ((سورة يس))ـ

قوله تعالى : (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمان) الآية . ظاهرها خصوص الانذار بالمنتفعين به ونظيرها قوله تعالى : (إنما أنت منذر من يخشاها) وقد جاءت آيات أخر تدل على عموم الانذار كقوله : (وتنذر به قوماً لدا) . وقوله (ليكون للعالمين نذيرا) . وقوله : (فأنذرتكم ناراً تلظى) وقد قدمنا وجه الجمع بأن الانذار في الحقيقة عام وإنما خص في بعض الآيات بالمؤمنين لبيان انهم هم المنتفعون بـه دون غيرهم كما قال تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) . وبين أن الانذار وعدمه سواء بالنسبة إلى إيمان الأشقياء بقوله : (سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) .

—« (سورة الصافات) »—

قوله تعالى : (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) . هذه الآية الكريمة فيها التصريح بنبذ يونس بالعراء عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . وقد جاءت آية أخرى يتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله : (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء) الآية .

والجواب — أن الامتناع المدلول عليه بحرف الامتناع الذي هو لولا منصب على الجملة الحالية لا على جواب لولا . وتقرير المعنى : لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء في حال كونه مذموماً لكنه تداركته نعمة ربه فنبذ بالعراء غير مذموم فهذه الحال عمدة لا فضلة أو أن المراد بالفضلة ما ليس ركناً في الاسناد وان توقفت صحة المعنى عليه ونظيرها قوله تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) وقوله : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) الآية لأن النفي فيهما منصب على الحال لا على ما قبلهما .

—« (سورة ص) »—

قوله تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم) الآية . هذه الآية تدل بظاهرها على أن الخصم مفرد ولكن الضمائر بعده تدل على خلاف ذلك . والجواب أن الخصم في الأصل مصدر خصمه والعرب إذا نعتت بالمصدر أفردته وذكرته وعليه فالخصم يراد به الجماعة والواحد والاثنان ويجوز جمعه وتثنيته لتناسي أصله الذي هو المصدر وتنزيله منزلة الوصف .

قال ابن مالك :

ونعتوا بمصدر كثيراً
فالتزموا الإفراد والتذكيرا

—« (سورة الزمر) »—

قوله تعالى : (والذي جاء بالصدق) ظاهر في الافراد . وقوله : (أولئك هم المتقون) يدل على خلاف ذلك . وقد قدمنا وجه الجمع محرراً بشواهده في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) الآية .

قوله تعالى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية : هذه الآية الكريمة تدل على أمرين . الأول — أن المسرفين ليس لهم أن يقنطوا من رحمة الله مع أنه جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى . (وأن المسرفين هم أصحاب النار)

والجواب أن الاسراف يكون بالكفر ويكون بارتكاب المعاصي دون الكفر فآية وان المسرفين هم أصحاب النار في الاسراف الذي هو كفر وآية قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم في الاسراف بالمعاصي دون الكفر ويجاب أيضاً بأن آية وان المسرفين هم أصحاب النار فيما إذا لم يتوبوا وان قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا فيما إذا تابوا .

والأمر الثاني — أنها دلت على غفران جميع الذنوب مع أنه دلت آيات أخر على أن من الذنوب ما لا يغفر وهو الشرك بالله تعالى .

والجواب — أن آية إن الله لا يغفر أن يشرك به مخصصة لهذه وقال بعض العلماء هذه مقيدة بالتوبة بدليل قوله تعالى : (وأنيبوا إلى ربكم) فإنه عطف على قوله لا تقنطوا وعليه فلا اشكال وهو اختيار ابن كثير .

—« (سورة غافر) »—

قوله تعالى : (ويستغفرون للذين آمنوا) هذه الآية الكريمة تدل على أن استغفار الملائكة لأهل الأرض خاص بالمؤمنين منهم وقد جاءت آية أخرى يدل ظاهرها على خلاف ذلك وهي قوله تعالى : (ويستغفرون لمن في الأرض) الآية . والجواب أن آية غافر مخصصة لآية الشورى والمعنى ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين لوجوب تخصيص العام بالخاص .

قوله تعالى : (وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم) لا يخفى ما يسبق إلى الذهن في هذه الآية من توهم المنافاة بين الشرط والجزاء في البعض لأن المناسب لاشتراط الصدق هو أن يصيبهم جميع الذين يعدهم لا بعضه مع أنه تعالى لم يقل وان يك صادقاً يصبكم كل الذي يعدكم وأجيب عن هذا بأجوبة من أقربها عندي أن المراد بالبعض الذي يصيبهم هو البعض العاجل الذي هو عذاب الدنيا لأنهم أشد خوفاً من العذاب العاجل ولأنهم أقرب إلى التصديق بعذاب الدنيا منهم بعذاب الآخرة . ومنها إن المعنى إن يك صادقاً فلا أقل من أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وعلى هذا فالنكتة المبالغة في التحذير لأنه إذا حذرهم من إصابة البعض أفاد أنه مهلك مخوف فما بال الكل وفيه اظهال لكمال الانصاف وعدم التعصب

ولذا قدم احتمال كونه كاذباً . ومنها – أن لفظة البعض يراد بها الكل وعليه فمعنى بعض الذي يعدكم كل الذي يعدكم ومن شواهد هذا في اللغة العربية قول الشاعر :

إن الأمور إذا الأحداث دبرها
دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

يعني ترى فيها خللا . وقول القطامي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

يعني قد يدرك المتأني حاجته . وأما استدلال أبي عبيدة لهذا بقول لبيد .

تراك أمكنة إذا لم أرضها
أو يعتلق بعض النفوس حمامها

فغلط منه لأن مراد لبيد ببعض النفوس نفسه كما بينته في رحلتي في الكلام على قوله (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال) الآية .

—« (سورة فصلت) »—

قوله تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض) إلى قوله (ثم استوى إلى السماء) تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) في الكلام على قوله تعالى : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء) الآية . قوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين). لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من منافاة هذه الحال وصاحبها لأنها جمع مذكر عاقل وصاحبها ضمير تثنية لغير عاقل ولو طابقت صاحبها في التثنية حسب مايسبق إلى الذهن لقال : أتينا طائعتين).

والجواب عن هذا من وجهين : – أحدهما وهو الأظهر عندي – ان جمعه للسموات والأرض لأن السموات سبع والأرضين كذلك بدليل قوله (ومن الأرض مثلهن) فالتثنية لفظية تحتها أربعة عشر فرداً وأما إتيان الجمع على صيغة جمع العقلاء فلأن العادة في اللغة العربية أنه إذا وصف غير العاقل بصفة تختص بالعاقل أجرى عليه حكمه ومنه قوله تعالى : (اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) لما كان السجود في الظاهر من خواص العقلاء أجرى حكمهم على الشمس والقمر والكواكب لوصفها به ونظيره. قوله تعالى : (قالوا نعبد أصناماً فنظل لها

عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون) . فأجرى على الأصنام حكم العقلاء لتنزيل الكفار لها منزلتهم ومن هذا المعنى قول قيس بن الملوح .

أسرب القطا هل من يعير جناحه

. . . البيت

فإنه لما طلب الاعارة من القطا وهي من خواص العقلاء أجرى على القطا اللفظ المختص بالعقلاء لذلك ووجه تذكير الجمع أن السموات والأرض تأنيثها غير حقيقي . الوجه الثاني – أن المعني قالتا أتينا بمن فينا طائعين فيكون فيه تغليب العاقل على غيره والأول أظهر عندي والعلم عند الله تعالى .

—((سورة الشورى))—

قوله تعالى : (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي) الآية . هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يوم القيامة ينظرون بعيون خفية ضعيفة النظر وقد جاءت آية أخرى يتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

والجواب هو ما ذكره صاحب الاتقان من أن المراد بحدة البصر العلم وقوة المعرفة قال قطرب فبصرك أي علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أي علم وليس المراد رؤية العين قال الفارسي ويدل على ذلك قوله فكشفنا عنك غطاءك . وقال بعض العلماء فبصرك اليوم حديد أي تدرك به ما عميت عنه في دار الدنيا ويدل لهذا قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا) الآية . وقوله : (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) الآية . وقوله : (اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) . ودلالة القرآن على هذا الوجه الأخير ظاهرة فلعله هو الأرجح وان اقتصر صاحب الاتقان على الأول .

—((سورة الزخرف))—

قوله تعالى : (وقالوا لو شاء الرحمان ما عبدناهم) كلامهم هذا حق لأن كفرهم بمشيئة الله الكونية وقد صرح الله بأنهم كاذبون حيث قال : (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) . وقد قدمنا الجواب واضحاً في سورة الأنعام في الكلام على

قوله : (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا) الآية .

قوله تعالى : (وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ) هذا العطف مع التنكير في هذه الآية يتوهم الجاهل منه تعدد الآلهة مع أن الآيات القرآنية مصرحة بأنه واحد كقوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وقوله (وما من إله إلا إله واحد) الآية .

والجواب — أن معنى الآية أنه تعالى هو معبود أهل السموات والأرض فقوله (وهو الذي في السماء إله) أي معبود وحده في السماء كما أنه المعبود بالحق في الأرض سبحانه وتعالى .

—«(سورة الدخان)»—

قوله تعالى : (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم) . هذه الآية الكريمة يتوهم من ظاهرها ثبوت العزة والكرم لأهل النار مع أن الآيات القرآنية مصرحة بخلاف ذلك كقوله : (سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين أذلاء) وكقوله (ولهم عذاب مهين) وكقوله هنا (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم)

والجواب — أنها نزلت في أبي جهل لما قال : أيوعدني محمد صلى الله عليه وسلم وليس بين جبليها أعز ولا أكرم مني فلما عذبه الله بكفره قال له ذق انك أنت العزيز الكريم في زعمك الكاذب بل أنت المهان الخسيس الحقير فهذا التقريع نوع من أنواع العذاب .

—«(سورة الجاثية)»—

قوله تعالى : (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) لا يعارض قوله تعالى — لا يضل ربي ولا ينسى — ولا قوله — وما كان ربك نسياً — وقد قدمنا الجواب واضحاً في سورة الأعراف .

—«(سورة الأحقاف)»—

قوله تعالى : (قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) الآية . هذه الآية الكريمة تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم مصير أمره وقد جاءت آية أخرى تدل أنه عالم بأن مصيره إلى الخير وهي قوله تعالى : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فإن قوله وما تأخر تنصيص على حسن العاقبة والخاتمة والجواب ظاهر وهو أن الله تعالى

علمه ذلك بعد أن كان لا يعلمه ويستأنس له بقوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم) الآية وقوله (ما كنت تدري ما الكتب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً) الآية . وقوله (ووجدك ضالاً فهدى) . وقوله (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الآية . وهذا الجواب هو معنى قول ابن عباس وهو مراد عكرمة والحسن وقتادة بأنها منسوخة بقوله (ليغفر لك الله ما تقدم) الآية . ويدل له أن الأحقاف مكية وسورة الفتح نزلت عام ست في رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأجاب بعض العلماء بأن المراد ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من الحوادث والوقائع وعليه فلا اشكال والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى : (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) هذه الآية يفهم من ظاهرها أن جزاء المطيع من الجن غفران ذنوبه واجارته من عذاب أليم لا دخوله الجنة وقد تمسك جماعة من العلماء منهم الامام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بظاهر هذه الآية فقالوا إن المؤمنين المطيعين من الجن لا يدخلون الجنة مع أنه جاء في آية أخرى ما يدل على أن مؤمنيهم في الجنة وهي قوله تعالى (ولمن خـاف مقام ربه جنتان) لأنه تعالى بين شموله للجن والانس بقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ويستأنس لهذا بقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لأنه يشير إلى أن في الجنة جناً يطمثون النساء كالانس والجواب عن هذا أن آية الأحقاف نص فيها على الغفران والاجارة من العذاب ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا اثبات وآية الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة لأنه تعالى قال فيها (ولمن خاف مقام ربه) وقد تقرر في الأصول أن الموصولات من صيغ العموم فقوله لمن خاف يعم كل خائف مقام ربه ثم صرح بشمول ذلك للجن والانس معاً بقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فبين أن الوعد بالجنتين لمن خاف مقام ربه من آلائه أي نعمه على الانس والجن فلا تعارض بين الآيتين لأن احداهما بينت ما لم تتعرض له الأخرى ولو سلمنا أن قوله (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) يفهم منه عدم دخولهم الجنة فإنه إنما يدل عليه بالمفهوم وقوله (ولمن

خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان) يدل على دخولهم الجنة بعموم المنطوق والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول ولا يخفى أنا إذا أردنا تحقيق هذا المفهوم المدعى وجدناه معدوماً من أصله للاجماع على أن قسمة المفهوم ثنائية اما أن يكون مفهوم موافقة أو مخالفة ولا ثالث ولا يدخل هذا المفهوم المدعى في شيء من أقسام المفهومين أما عدم دخوله في مفهـــوم الموافقة بقسميه فواضح وأما عدم دخوله في شيء من أنواع مفهوم المخالفة فلأن عدم دخوله في مفهوم الحصر أو العلة أو الغاية أو العدد أو الصفة أو الظرف واضح فلم يبق من أنواع مفهوم المخالفة يتوهم دخوله فيه إلا مفهوم الشرط أو اللقب وليس داخلاً في واحد منهما فظهر عدم دخوله فيه أصلاً أما وجه توهم دخوله في مفهوم الشرط فلأن قوله يغفر لـــكم من ذنوبكم فعل مضارع مجزوم بكونه جزاء الطلب وجمهور علماء العربية على أن الفعل إذا كان كذلك فهو مجزوم بشرط مقدر لا بالجملة قبله كما قيل به وعلى الصحيح الذي هو مذهب الجمهور فتقرير المعنى أجيبوا داعي الله وآمنوا به أن تفعلوا ذلك يغفر لكم فيتوهم في الآية مفهوم هذا الشرط المقدر والجواب عن هذا أن مفهوم الشرط عند القائل به إنما هو في فعل الشرط لا في جزائه وهو معتبر هنا في فعل الشرط على عادته فمفهوم أن تجيبوا داعي الله وتؤمنوا به يغفر لكم أنهم ان لم يجيبوا داعي الله ولم يؤمنوا به لم يغفر لهم وهو كذلك أما جزاء الشرط فلا مفهوم له لاحتمال أن تترتب على الشرط الواحد مشروطات كـــثيرة فيذكر بعضها جزاء له فلا يدل على نفي غيره كما لو قلت لشخص مثلاً إن تسرق يجب عليك غرم ما سرقت فهذا الكلام حق ولا يدل على نفي غير الغرم كالقطع لأن قطع اليد مرتب أيضاً على السرقة كالغرم فكذلك الغفران والاجارة من العذاب ودخول الجنة كلها مرتبة على اجابة داعي الله والإيمان به فذكر في الآية بعضها وسكت فيها عن بعض ثم بين في موضع آخر وهذا لا اشكال فيه . واما وجه توهم دخوله في مفهوم اللقب فـــلأن اللقب في اصطلاح الأصوليين هو ما لم يكن انتظام الكلام العربي دونه أعني المسند إليه سواء كان لقباً أو كنية أو اسماً أو اسم جنس أو غير ذلك وقد أوضحنا

اللقب غاية في المائدة . والجواب عن عدم دخوله في مفهوم اللقب أن الغفران والاجارة من العذاب المدعى بالفرض أنهما لقبان لجنس مصدريهما وأن تخصيصهما بالذكر يدل على نفي غيرهما في الآية مسندان لا مسند إليهما بدليل أن المصدر فيهما كامن في الفعل ولا يسند إلى الفعل اجماعاً ما لم يرد مجرد لفظه على سبيل الحكاية ومفهوم اللقب عند القائل به إنما هو فيما إذا كان اللقب مسنداً اليه لأن تخصيصه بالذكر عند القائل به يدل على اختصاص الحكم به دون غيره وإلا لما كان للتخصيص بالذكر فائدة كما عللوا به مفهوم الصفة وأجيب من جهة الجمهور بأن اللقب ذكر ليمكن الحكم لا لتخصيصه بالحكم إذ لا يمكن الاسناد بدون مسند إليه ومما يوضح ذلك أن مفهوم الصفة الذي حمل عليه اللقب عند القائل به إنما هو في المسند إليه لا في المسند لأن المسند إليه هو الذي تراعى أفراده وصفاتها فيقصد بعضها بالذكر دون بعض فيختص الحكم بالمذكور . أما المسند فإنه لا يراعى فيه شيء من الافراد ولا الأوصاف أصلاً وإنما يراعى فيه مجرد الماهية التي هي الحقيقة الذهنية

فلو حكمت مثلاً على الانسان بأنه حيوان فإن المسند إليه الذي هو الإنسان في هذا المثال يقصد به جميع أفراده لأن كل فرد منها حيوان بخلاف المسند الذي هو الحيوان في هذا المثال فلا يقصد به إلا مطلق ماهيته وحقيقتـــه الذهنية من غير مراعاة الأفراد لأنه لو روعيت أفراده لاستلزم الحكم على الانسان بأنه فرد آخر من أفراد الحيوان كالفرس مثلاً والحكم بالمباين على المباين باطل إذا كان إيجابياً باتفاق العقلاء وعامة النظار على أن موضوع القضية إذا كانت غير طبيعية يراعى فيه ما يصدق عليه عنوانها من الأفراد باعتبار الوجود الخارجي إن كانت خارجية أو الذهني إن كانت حقيقية وأما المحمول من حيث هو فلا تراعى فيه الافراد البتة وإنما يراعى فيه مطلق الماهية ولو سلمنا تسليماً جدلياً أن مثل هذه الآية يدخل في مفهوم اللقب فجماهير العلماء على أن مفهوم اللقب لا عبرة به وربما كان اعتباره كفراً كما لو اعتبر معتبر مفهوم اللقب في قوله تعالى محمد رسول الله فقال يفهم من مفهوم لقبه أن غير محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن رسول الله فهذا كفر بإجماع المسلمين فالتحقيق أن

اعتبار مفهوم اللقب لا دليل عليه شرعاً ولا لغة ولا عقلاً سواء كان اسم جنس أو اسم عين أو اسم جمع أو غير ذلك فقولك جاء زيد لا يفهم منه عدم مجيء عمرو . وقولك رأيت أسداً لا يفهم منه عدم رؤيتك غير الأسد والقول بالفرق بين اسم الجنس فيعتبر واسم العين فلا يعتبر لا يظهر فلا عبرة بقول الصيرفي وأبي بكر الدقاق وغيرهما من الشافعية ولا بقول ابن خويز منداد وابن القصار من المالكية ولا بقول بعض الحنابلة باعتبار مفهوم اللقب لأنه لا دليل على اعتباره عند القائل به إلا أنه يقول لو لم يكن اللقب مختصاً بالحكم لما كان لتخصيصه بالذكر فائدة كما علل به مفهوم الصفة لأن الجمهور يقولون ذكر اللقب ليسند إليه وهو واضح لا إشكال فيه وأشار صاحب مراقي السعود إلى تعريف اللقب بالاصطلاح الأصولي وانـــه أضعف المفاهيم بقوله :

أضعفها اللقب وهـــو ما أبي
من دونه نظم الكلام العربي

وحاصل فقه هذه المسألة أن الجن مكلفون على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدلالة الكتاب والسنة واجماع المسلمين وان كافرهم في النار باجماع المسلمين وهو صريح .

قوله تعالى : (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

وقوله تعالى : (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون) وقوله تعالى : (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار) إلى غير ذلك من الآيات وان مؤمنيهم اختلف في دخولهم الجنة ومنشأ الخلاف الإختلاف في فهم الآيتين المذكورتين والظاهر دخولهم الجنة كما بينا والعلم عند الله تعالى .

—« (سورة القتال) »—

قوله تعالى : (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) هذه الآية الكريمة تدل على تعددالأنهار مع تعدد أنواعها وقد جاءت آية أخرى يوهم ظاهرها أنه نهر واحد وهي قوله تعالى (إن المتقين في جنات ونهر) وقد تقدم الجمع واضحاً في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهن) الآية . وبينا أن قوله : ونهر يعني أنهار .

ـ« (سورة الفتح) »ـ

قوله تعالى : (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله) الآية . لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من تنافي هذه العلة ومعلولها لأن فتح الله لنبيه لا يظهر كونه علة لغفرانه له . والجواب عن هذا من وجهين :

الأول ــ وهو اختيار ابن جرير لدلالة الكتاب والسنة عليه ان المعنى أن فتح الله لنبيه يدل بدلالة الالتزام على شكر النبي لنعمة الفتح فيغفر الله له ما تقدم وما تأخر بسبب شكره بأنواع العبادة على تلك النعمة فكأن شكر النبي لازم لنعمة الفتح والغفران مرتب على ذلك اللازم . أما دلالة الكتاب على هذا ففي قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فصرح في هذه السورة الكريمة بأن تسبيحه بحمد ربه واستغفاره لربه شكراً على نعمة الفتح سبب لغفران ذنوبه لأنه رتب تسبيحه بحمده واستغفاره بالفاء على مجيء الفتح والنصر ترتيب المعلول على علتــه ثم بين أن ذلك الشكر سبب الغفران بقوله : (إنه كان توابا) وأما دلالة السنة ففي قوله صلى الله عليه وسلم لما قال له بعض أصحابه لا تجهد نفسك بالعمل فإن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ فبين صلى الله عليه وسلم ان اجتهاده في العمل لشكر تلك النعمة وترتب الغفران على الاجتهاد في العمل لا خفاء به .

الوجه الثاني ــ إن قوله إنا فتحنا يفهم منه بدلالة الالتزام الجهاد في سبيل الله لأنه السبب الأعظم في الفتح والجهاد سبب لغفران الذنوب فيكون المعنى ليغفر لك الله بسبب جهادك المفهوم من ذكر الفتح . والعلم عند الله تعالى .

الدين والسنن الكونية

بقلم: الدكتور محمد تقي الدين الهلالي
المدرس في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة

دين الحق لا يتنافى ولا يتعارض أبداً مع السنن الكونية لأن مصدرهما واحد، وهو مشيئة الله وحكمه الذي لا معقب له، فمن أراد أن يحارب السنن الكونية باسم الدين، كانت عاقبته الهزيمة، ومن الأمثلة على ذلك سنة التزاوج والتناسل التي سنها الله للحيوان والنبات، فمن أراد أن يعطلها زاعماً أن تعطيلها من الدين ومما يتقرب به إلى الله يعجز ويقهر، ولا يتم له ما أراد أبداً، ويجني على نفسه وعلى من اتبعه شقاء عظيماً في جسمه وعقله دون أن يحصل على طائل ولا تنحصر الجناية في من انتحل ذلك ولا في أتباعه، بل تعم شعبه.

فقد زعم النساك من قدماء أهل الهند أن ترك الدنيا والزهد فيها هو الطريق الوحيد الذي يهذب النفس ويزكيها ويرفعها إلى الملأ الأعلى، فتركوا العمل والتزموا الجوع والعري واعتزلوا الناس واستوحشوا منهم وسكنوا القفار مع الوحش وهجروا الأمصار وأطالوا الفكرة، وكانت أفكارهم عقيمة، نتائجها سلبية، فمنها القول بتناسخ الأرواح، وحاصله أن الأرواح محدودة لا تزيد ولا تنقص سواء في ذلك أرواح الحيوان الناطق وأرواح الحيوان الأعجم، فمتى مات موجود حي انقلبت روحه من ذلك الجسم الفاني إلى جسم ناشيء

يولد ساعة خروجها من الجسم الفاني ، فكأنهما كانا على ميعاد . ولما رأوا أن العدالة الربانية التي عليها تقوم السموات والأرض والتي هي مقتضى حكمة الله وعلمه وقدرته . فكروا كيف يكون هذا الجزاء ؟ فلم يجدوا حلاً للمعضلة إلا أن يدعو دعوى خيالية أخرى ، وهي أن جزاء كل حياة من الحيوات التي يحياها الانسان ويعبر عنها بالتجسدات ترقى فيها الروح في الدرجات العليا ، أو تهبط إلى الدركات السفلى ، على حسب عملها ، فإن عملت في الحياة الأولى أي التجسد الأول عملاً صالحاً بحسن معاملتها للانسان والحيوان وتجنبت السيئات والآثام تنتقل بعد فناء جسمها إلى طبقة من طبقات البشر هي أجل وأعلى من الطبقة التي كانت فيها جزاء حسناً ومثوبة على عملها الصالح في الحياة المتقدمة وتفوز برضوان الآلهة . وانْ اقترفت السيئات وخرجت عن شريعة الآلهة تعاقب في حياتها التالية بأن ترجع إلى الدنيا في جسم من طبقة منحطة حقيرة . وان استمرت في ارتكاب الموبقات يستمر عقابها حتى تصل إلى دركة المنبوذين . وان زادت في غيها تنحط حتى ترجع إلى الدنيا في جسم حيوان شريف كالفرس مثلاً ، فإن لم تنته عن جرائمها ترجع إلى الدنيا في جسم حيوان حقير وهكذا دواليك حتى تصل إلى دركة الفيران ، وربما انحطت إلى دركة الخنافس .

والطبقات عند الهنادك كثيرة ، أعلاها طبقة البراهمة ، فهؤلاء يولدون مقدسين من بطون أمهاتهم ، وكل ما عملوه فهو حق ، لا تكتب عليهم سيئة واحدة طول أعمارهم وإذا ماتوا تلتحق أرواحهم بالملأ الأعلى ، وليت شعري إذا كان عدد الأرواح محدوداً ، فمن أين يجيء المدد الذي يخلف الطبقة العليا التي لا ترجع إلى الدنيا وأسفل الطبقات طبقة المنبوذين ولا يجوز أن تخالط طبقة عالية طبقة أخرى أسفل منها ، فلا تؤاكلها ولا تشاربها ولا تجالسها ولا يجمعهما معبد واحد فلكل طبقة لها معابدها ، ولا يجوز للطبقة السفلى أن تتزوج بأفراد الطبقة العليا ولا أن تأكل أو تشرب في آنيتها . ولا أن تمس طعامها ، والمسلم عندهم يعتبر نجساً إذا مس طعاماً تنجس ذلك الطعام . وأذكر أني كنت متجولاً في أسواق دلهي عاصمة الهند في أول سفرة سافرتها إلى الهند فرأيت في حانوت كوماً من الزبيب الذي ليس له نوى ويسمى عندهم (كشمش)

فأهويت بيدي لألمس ذلك الزبيب وقبل أن تصل يدي إليه جُذبت من خلفي جذبة قوية حتى سقطت على ظهري فقمت وسألت الطالب الذي كان يرافقني من جذبني ؟ فقال لي : أنا جذبتك خوفاً عليك من أن تقع في مشكلة عويصة يعسر عليك حلها ، أنظر إلى صاحب الحانوت فهو غضبان يصيح ويشتم ، ولو وقعت يدك عليه لألزمك بثمنه كله ، وكنت مرة في مدينة بمبي وهي مدينة مشهورة بناحية كجرات ، وكان الوقت ليلاً فرأيت قلة منتصبة فلمستها بيدي فغضب صاحبها وصاح صياحاً كثيراً ورأيته أخذ القلة وصب الماء الذي كان فيها مع أني لم ألمس إلا جانبها ولا أدري هل كسرها أو انتفع بها بعد غسلها ، ومما يدل على الأول أن المتصدقين بالماء البارد من الهنادك في محطات السكة الحديدية يعدون آنية صغيرة بقدر ما يشرب الشخص الواحد من الخزف ويصبون الماء فيها لكل من يحتاج إليه من غير أهل طبقتهم ومن شرب في اناء منها إن شاء أخذه وإن لم يرده ألقاه لأن ذلك الهندكي لا يمسه بعد ذلك ، فإن انقضت تلك الأواني وجاءه شخص من غير أهل طبقته يصب له الماء في يديه. هذا كله مع الطبقات المتنجسات تنجساً خفيفاً من اخوانهم الهنادك أو من المسلمين والنصارى . وأما الطبقة المنبوذة فأمرها أدهى وأمر ، فلا يجوز لأهلها أن يسكنوا في مدينة ولا قرية ، وإنما يتخذون أكواخاً بعيدة من المدن ويسكنون فيها ويحفرون آباراً يشربون منها ، وإن كان بقربهم نهر عظيم تسير فيه السفن لأنهم لا يسمح لهم بأخذ الماء منه لئلا يتنجس ، وبحكم هذه العزلة والاستقذار الذي حكمت به الآلهة بزعمهم لا يجد المنبوذون عملاً ، مع أن عددهم ثمانون مليوناً ، فإن قلت وبمَ يعيشون ؟ فالجواب أنهم يعيشون بنقل النجاسات من بيوت الخلاء في جوف الليل ، ويخرجونها إلى مكان بعيد من المدينة فيحرقونها ويأخذون أجوراً على ذلك يأتيهم بها شخص في كل شهر فيعطيهم إياها ، ولعل القراء الكرام لا يعلمون أن أهل الهند حتى في المدن الكبيرة ليس عندهم مراحيض إلا في النادر . فترى الديار الكبيرة الجميلة من بيوت الأغنياء المترفين فإذا سألت عن بيت الخلاء يدلونك على مكان قد بني فيه شبه الكوانين التي توقد فيها النار وفي كل واحد منها اناء عليه غطاء يكشفه ويتخلى فيه ثم يغطيه ولهذا

المكان بابان ، باب إلى داخل الدار وباب إلى الشارع ، وهذا الباب الذي إلى الشارع له قفل ومفتاح يكون دائماً عند المنبوذ ليأتي في جوف الليل ويفتح ذلك المكان ويخرج كل ما فيه ويجعله في عربه النجاسات ثم يغسل الأواني ويردها إلى مواضعها ، وهذا شيء عام في جميع بلاد الهند ، وسبب منع المنبوذين من دخول المدن نهاراً هو نجاسة أجسامهم التي بلغت إلى حد أن ظل المنبوذ لو وقع على طعام لنجسه ، وهذا الأمر ليس مفروضاً على المنبوذين من قبل الطبقات العليا فقط ، بل المنبوذون أنفسهم يعتقدون أنه أمر مبرم حكمت به الآلهة عليهم ، للذنوب التي ارتكبوها في التجسدات السالفة ولا مرد لحكمها . وقد حاول غاندي أن يغير هذه العقيدة ويطهر المنبوذين وزعم أنه نزل عليه الوحي يأمره بذلك ، وقرر القول في مقالات نشرها في الصحيفة التي كان يصدرها واسمها (هرجان) وقال فيها فإن طلبتم مني دليلاً على أن الله أوحى إلي بذلك ، أجيبكم ليس عندي دليل ولكني لا أشك في ذلك أبداً ، ومع أن غاندي كان من الطبقة المقدسة وهي البراهمة وكان وطنياً مخلصاً متعبداً زاهداً في الدنيا ، قضى جل حياته في سجون الاستعمار لم يقبل منه الهنادك هذه الدعوى لأنها تفسد عليهم دينهم وتأتي بنيانه من القواعد وتجعل عاليه سافله ، وحاول الدكتور امبدكار ، وأصله من المنبوذين وقد كفر بعقيدتهم وتعلم حتى حصل على شهادة الدكتوراه ، حاول أن يقنعهم ببطلان عقيدة التنجس ويفهمهم أنهم بشر كسائر البشر فلم يفلح . ولا يزال الدعاة من المسلمين والنصارى يدعونهم إلى تغيير عقيدتهم فيستجيب لهم من قدر له منهم أن يخرج من ذلك الشقاء إلا أن دعوة المسلمين أكثر نجاحاً ، لأن المنبوذ إذا أسلم يمتزج مع المسلمين في الحين ويستطيع أن يخالط جميع المسلمين في مساجدهم ومدارسهم ومجالسهم ، لا يترفع عليه أحد منهم وإن كان ملكاً أو أميراً ، أما النصارى فقد يستقذر بعض الأوروبيين مجالسة المنبوذين والصلاة معهم في كنيسة واحدة فيأمرونهم ببناء كنائس خاصة بهم .

ومما حدث من قبيل دعوة المسلمين المنبوذين إلى الإسلام أن أحد علماء المسلمين عكف على دعوة جماعة من المنبوذين وأقام عندهم زماناً طويلاً

يشرح لهم فضل الإسلام وبطلان ما هم عليه حتى هداهم الله جميعاً فأسلموا واحتفلوا بيوم اسلامهم فخرجوا من أكواخهم رجالاً ونساء وصبياناً وقد حمل كل واحد منهم قلة وانطلقوا إلى النهر وهم يكبرون الله أكبر الله أكبر حتى ملئوا القلل وحملوها على أكتافهم ورجعوا إلى بيوتهم فرحين مستبشرين ، يحمدون الله الذي أزال عنهم تلك اللعنة وطهرهم وهداهم إلى الإسلام .

وقد جرتهم عقيدة التناسخ إلى عقيدة أخرى تضاهيها في الفساد والشر ، وهي تحريم ذبح الحيوان وأكل لحمه مخافة أن يكون ذلك الحيوان قد حلت فيه روح أحد أجدادهم فلا يجوز عندهم قتل أي حيوان وان كان مؤذياً كالقردة مثلاً ، ولذلك ترى القردة تسير في مدن الهند أسراباً وتتسلق جدران البيوت وتنزل إلى السطوح وتخيف النساء والصبيان وتفسد كل ما وصلت إليه أيديها من طعام وثياب وغير ذلك ، وقد اتفق أني كنت في الهند ساكناً في مدينة لكناو طبعت خمسمائة غلاف بعنواني وكانت موضوعة في غرفة فجاءت القردة وفتحت نافذة الغرفة فدخلت وأخذ كل واحد منها قبضة يده من الأغلفة وخرجوا بها وألقوها في الهواء فتشتت في كل مكان من المحلة التي كنت أسكنها ، فجمع أهل المحلة ما أمكن جمعه منها وجاؤني به ، ومن أذاها للناس أنها تجتمع بالمآت عند قبة صنم لتنال من صدقات الزائرين من عباده ، ولما كان القراء الكرام لا يعرفون الأصنام لأنهم لم يشاهدوها أرى من المستحسن أن أصف لهم هـــذا الصنم ، فهو تمثال رجل واقف على قدميه عليه ثيابه وعمامته وله لحية وافرة سوداء ووجهه أبيض مشرب بحمرة يظن الرائي أنه حي وقد جلس عنده ناسك وهو عريان أسود الجسم نحيله جداً ، حتى كأنه هيكل عظمي فيجيء الزائر ويسجد لذلك الصنم سجدة واحدة ثم يقوم ويقدم النذر أو الصدقة لذلك الناسك وينصرف فيتصدق على القردة بما تيسر له من الطعام ، وهذه القردة تقطع الطريق على المارة فمتى رأت شخصاً يحمل طعاماً ، والعادة جارية بأن الموظفين يُبعث اليهم الطعام من بيوتهم وقت الظهر متى رأت القردة شخصاً يحمل طعاماً وليس عنده ما يدافع به عن نفسه هجمت عليه وخمشته بأظفارها وانتزعت منه ذلك الطعام ، ولا يستطيع المسلمون أن يمسوا القردة

بسوء خوفاً من نقمة الوثنيين الذين يدافعون عن كل حيوان ويمنحونه حمايتهم ورعايتهم مخافة أن يكون أحد أجدادهم قد تقمص جسمه ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يظهر لحم الحيوان لأن الهنادك لا يستطيعون رؤيته ، ومن أجل ذلك صارت المجزرة في بلدانهم يحيط بها سور ، ولكل باب من أبوابها دهليز طويل حتى لا تقع عين هندكي على لحم يقطع أو يباع .

ومما يتصل بهذا ويحسن ذكره هنا عبادتهم للبقرة وتقديسهم لها فمتى بلغهم ولو كذباً أن المسلمين أو النصارى ذبحوا بقرة أعلنوا عليهم الحرب وأزهقت بسبب ذلك نفوس كثيرة ، والبقرة تشعر بذلك فتراها لا تسير إلا في الرصيف ، ولا تسير في قارعة الطريق كسائر الحيوان ، ومتى مرت بصاحب دكان وقفت ونظرت إليه فإن كان وثنياً خرج إليها وقدم إليها الحلوى وقبلها وتمسح بها ، ومن عادة المتمسكين بالدين عندهم أنهم يخلطون خثي البقرة بتراب مقدس ، عندهم ويضعونه خطاً على جباههم للتبرك والحفظ ، أخبرني بذلك المسلمون حين سألتهم عن تلك الخطوط التي كنت أراها على جباه المشركين .

وهذه العقيدة ليست قديمة جداً عند الوثنيين من أهل الهند ، فقد ثبت في التاريخ أن راما وهو أعظم آلهتهم كان ملكاً وكان يصيد الحيوان ، وقد بلغ من تعظيمهم لرَام أنهم جعلوا اسمه تحية ، فمتى التقى اثنان منهم يرمرم كل واحد منهما للآخر بقوله (رام) فيجيبه الآخر بمثل ذلك .

وكان أبو العلاء المعري على هذه العقيدة ، فإنه لم يأكل اللحم أربعين سنة ، وزعم أن ذبح الحيوان وأكل لحمه وبيضه وشرب لبنه كل ذلك عدوان وظلم ، وهذا يدل على جهله بالسنن الكونية وذلك أن الله جلت قدرته وبلغت حكمته جعل استمداد الحياة من الحياة ، فجعل غذاء الحيوان من الحيوان ومن النبات في البر والبحر ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، وكل ما يأكله ويشربه الإنسان والحيوان مملوء بأنواع الحيوان من الجراثيم التي لا ترى بالبصر ، فكل حيوان آكل ومأكول ، والإنسان الذي هو أشرف الحيوان يأكله الدود وهو من أحقر الحيوان وليس في قدرة الإنسان أن يمتنع من استهلاك الحيوان ، فتورع أبي

العلاء عن أكل لحم الحيوان تورع باطل وفلسفة فاسدة ، فالأنبياء هم أعلم الناس وأرحمهم وأورعهم كانوا يأكلون اللحم ، بل الله وهو أرحم الراحمين أباح لجميع الناس أكل اللحوم والانتفاع بلبن الحيوان وبيضه وصوفه ووبره وشعره وجلده ، فمن أراد تعطيل تلك المنافع فقد سفه نفسه وأراد تغيير سنة الله ، ولن يجد إلى ذلك سبيلا . وقد أخبرني المسلمون في الهند أن كثيراً من الهنادك يأكلون اللحم سراً ، فيكلفون أصدقاءهم من المسلمين أن يشتروا لهم اللحم ويأتوهم به خفية . وهكذا كل من أراد أن يبدل سنة الله أهلك نفسه ولم يحصل على طائل . .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

نبذة من التصوف الهندي الوثني

جاء في كتاب مقارنة الأديان للدكتور أحمد شابي صفحة ٧٠ ما نصه مع تغيير الألفاظ الركيكة :

« إن أعلى ما يرغب فيه البرهمي هو الفناء في برهما (وهو إله الآلهة عندهم) والفناء فيه والطريق الموصل إلى هذا الغرض هو الزهد والتقشف المفرط بالصوم وأرق الليل وتعذيب النفس وحرمانها من كل ما تشتهيه وتحميل المرء نفسه أنواع البلاء ويبدو دائماً كثير الهموم والخوف والتشاؤم وهو لا يتمنى الموت لأن الموت ينقله إلى دورة جديدة من دورات حياته كما تقدم في ذكر تناسخ الأرواح بل يرجو لنفسه الفناء في برهما ، ومن ذلك حفلت حياة نساك الهند الوثنيون باليؤس ومحاربة الملاذ بترك الاكتساب والاكتفاء بسؤال الناس عند الضرورة القصوى ، وفي كتبهم المقدسة عندهم ما معناه أن الذي تغلب على نفسه فقد تغلب على حواسه التي تقوده إلى الشر والنفس لا تشبع أبداً بل يزداد جشعها بعد أن تنال مشتهاها ، فالذي أوتي كل ما يشتهي وأعطى نفسه هواها فقد أهلكها وأشقاها ، أما الذي ترك كل ما

تشتهيه نفسه ، وتخلى عن الدنيا فقد أنقذ نفسه وقادها إلى السعادة ، على طالب العلم أن يهذب نفسه بأن يتجنب الحلوى واللحوم والروائح الطيبة والنساء ، وكذلك يجب عليه ألا يدلك جسده بما له رائحة طيبة ولا يكتحل ولا يلبس حذاء ولا يتظلل من الشمس ، وعليه ألا يهتم برزقه بل يحصل رزقه بسؤال الناس . وعندما تدخل في الشيخوخة عليك بالعزلة وعدم قرب النساء والأهل والإقامة في الغابة ، وإذا أقمت في الغابة فليس لك أن تقص شعرك ولحيتك وشاربك ولا أن تقلم أظافرك ، وليكن طعامك مما تنبته الأرض وتثمره الأشجار ، ولا تقطف الثمر بيدك بل كل منه ما سقط من الشجرة ، وعليك بالصوم تصوم يوماً وتفطر يوماً ، وإياك واللحم والخمر عود نفسك على تقلبات الفصول فاجلس تحت الشمس المحرقة وابق أيام المطر تحت السماء ، وارتد الرداء المبلل في الشتاء ، لا تفكر في الراحة البدنية ، اجتنب سائر الملذات ، نم على الأرض ولا تأنس بالمكان الذي أنت فيه ، إذا مشيت فامش حذراً حتى لا تتخطى عظماً أو شعراً ، وحتى لا تطأ حشرة ، وإذا شربت الماء فاحذر أن تبتلع بعوضة أو نحوها ، لا تفرح باللذيذ ولا تحزن للردى » .

يقول كاتب هذا الحديث محمد تقي الدين الهلالي : عجباً للبراهمة يتورعون عن بلع البعوضة مع الماء الذي يشربون وعن الوطيء على النمل بأقدامهم حين يمشون ، أما سفك دماء المسلمين رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً فإنه عندهم من أقرب القربات التي ترضي آلهتهم ، وتصعد بأرواحهم إلى الملأ الأعلى .

كنت في لكنو عام ١٣٤٣ ضيفاً عند الدكتور محمد نعيم الأنصاري فوقعت معركة بين المسلمين والمشركين واستمرت ثمانية أيام ، وتعطلت الأسواق وعجزت الشرطة التي يدير شؤونها الانكليز عن اخماد نار تلك الفتنة فانهم كانوا يركبون بأعداد كبيرة في السيارات ولا يضعون شيئاً لأن الشرطة أيضاً وان كانوا تحت القيادة الانكليزية فأكثرهم وثنيون والقليل منهم مسلمون ، وجعل أغنياء الوثنيين عشر ربيات لكل من يأتيهم برأس مسلم أو مسلمة سواء أكان شيخاً أو شاباً رجلاً أو امرأة أو صبياً صحيحاً أو مريضاً فبقينا تلك المدة

ليس لنا طعام إلا العدس ، مع أن الدكتور الأنصاري كان يعيش معيشة المترفين وكان غاندي موجوداً ، وكان له أتباع وأنصار وتلامذة في تلك المدينة فلم يهتم هو ولا غيره من البراهمة بازهاق أرواح المسلمين ، والمسلمون في مدينة لكنو لا يزيد عددهم على ربع سكانها ، فقتلوا تقتيلاً وكان الذين بدأوا بالعدوان وأوقدوا نار الحرب هم الوثنيين وهذا يذكرنا بقول ابن عباس رضي الله عنهما لأهل العراق حين سألوه عن المحرم يقتل بعوضة ماذا عليه فقال لهم عجباً لكم يا أهل العراق سفكتم دم الحسين ومن معه من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتورعوا عنه ثم جئتم تسألونني عن قتل البعوض ، ولا حاجة بنا إلى ذكر الماضي ، فحوادث هذه الأيام فيها كفاية فكلنا يعلم أن الدولة الوثنية الهندية التي تدين بدين البراهمة هجمت على خمسة وسبعين مليوناً في باكستان الشرقية وأعملت فيهم السيف والقنابل والاحراق والتعذيب تحت سمع الدنيا وبصرها ، فلم يغثهم أحد لا من المسلمين ولا من غيرهم وها هم يسرحون ويمرحون ويمـــلون شروط الصلح على من بقي من المسلمين في باكستان الغربية ، فقبح الله من زعم أن هذا عصر النور والحرية والمساواة وفي مثله ينبغي أن ينشد :

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأدهـــم

اقتفاء جهلة المتصوفة آثار الهنادكة في تعذيب أنفسهم

من المعلوم أن الوثنيين في الهند لا يؤمنون بالأنبياء فعقائدهم ناشئة عن الجهل والرعونة فلا يستغرب منهم ذلك ، والعجب كل العجب من قوم نشئوا في بلاد الاسلام في زمان كانت البلاد الاسلامية مشرقة بأنوار الكتاب والسنة ورايات الاسلام منصورة وأيامه في أيامهم مشهورة ، ومع ذلك تركوا الكتاب والسنة وسيرة سلف الأمة واقتدوا بالبراهمة في تنسكهم السخيف وسأورد هنا ما يتسع له المقام من حكاياتهم المضحكة المبكية .

الحكاية الأولى

ابن الكريتي ومرقعته ، قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس على الطوائف المختلفة بسنده إلى نصر عبد الله السراج ذكر عن ابن الكريتي وكان أستاذ الجنيد أنه أصابته جنابة وكان عليه مرقعة ثخينة فجاء إلى شاطىء دجلة والبرد شديد فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج ، وقال عقدت ألا أنزعها عن بدني حتى تجف عليّ فلم تجف عليه شهراً ، ثم روى الحكاية بسند آخر إلى الجنيد قال سمعت أبا جعفر ابن الكريتي يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وحدثتني نفسي لو تركت حتى تصبح يسخن لك الماء أو تدخل حماماً والا اعبأ على نفسك ، فقلت واعجباً أنا أعامل الله تعالى في طول عمري يجب على حق لا أجد المسارعة إليه ، وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر ، آليت لا أغتسل إلا في نهر وآليت لا أغتسل إلا في مرقعتي هذه . وآليت لا أعصرها وآليت لا أجففها في شمس أو كما قال ، ثم قال ابن الجوزي وكان وزن كم هذه المرقعة وحده أحد عشر رطلاً ، قال محمد تقي الدين الهلالي الرطل اثنتا عشرة أوقية ، والاوقية أربعون درهماً .

فإذا كان كم المرقعة يزن أحد عشر رطلاً ، والكم الثاني مثله يصير الكمان فقط اثنين وعشرين رطلاً ونسبة الكمين إلى الجبة كلها نجعلها ربعاً فيكون وزن الجبة ثمانية وثمانون رطلاً ، فإذا غمست في الماء يعلق بها من الماء مثل ذلك .

ونترك التعليق للحافظ بن الجوزي قال الحافظ بن الجوزي بعد ذكر هذه الحكاية التي رواها باسنادين اثنين ما نصه : وانما ذكر للناس أني فعلت الحسن الجميل وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهم محض لأن هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل ، وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء ، ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنوناً من التعذيب .. القاؤها في الماء

البارد ، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد ، ولعله قد بقي من مغابنه ما لم يصل إليه الماء لكثافة هذه المرقعة ، وبقاؤها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه لذةِ النوم ، وكل هذا الفعل خطأ وإثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه .

الحكاية الثانية

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريتي أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب في قلبي أي شعرت بأنني من الصالحين الذين يستحقون التعظيم فدخلت الحمام فرأيت ثياباً فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلاً قليلاً . فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك أُعرف بلص الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال وربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام ، قال الحافظ ابن الجوزي بعد ذكر هذه الحكاية سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الأحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل ، والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في مخالفته وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي وقد عدم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الأمراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة . ومضمون ذلك أن الشريعة ما تفي بالسياسة ، وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال له سارق ، وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ونحو ذلك عند شهداء الله في الأرض ولو أن رجلاً وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلمسها ليقول فيه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك ثم في مذهب أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ، كلا والله إن لنا شريعة لو رام

آبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يُقبل منه فعجبي من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبي من هذا المستلب الثياب .

الحكاية الثالثة

قال ابن الجوزي بسنده إلى أبي الحسن المديني أنه سمعه يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان في احدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فبينا أنا أمشي على شاطيء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلاً وخريقة فجمعتها وقلت هذه لفقير ومشيت قليلاً فسمعت همهمة وتخبطاً في الماء فنظرت فإذا بأبي الحسن الثوري قد ألقى نفسه في الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت إليه فنظر إلي وقال : يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بي قد أماتني موتات وقال لي ما لك إلا الذكر الذي لسائر الناس وأخذ يبكي ويقول ترى ما يفعل بي فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويقفلون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا السباع بالليل تدخل القرية وكان حوالي القرية أجمة أي غابة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين ، فلما سمع الثوري هذا الحديث قام فرمى بنفسه في الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول أين أنتِ يا سباع فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك في أصول القصب فلما كان قريب الصبح جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ما قدرنا عليه فبقي أربعين يوماً لا يمشي على رجليه فسألته أي شيء كان ذلك الحال فقال : لما ذكروا السبع وجدت في نفسي فزعاً فقلت لأطرحنكِ إلى ما تفزعين منه . قال الحافظ ابن الجوزي بعد ذكر هذه الحكاية قلت لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع في الماء والطين (يعني أن الشيطان تخبطه وكيف يجوز للإنسان أن يلقي نفسه في ماء طين وهل هذا إلاّ فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله

ترى ما يفعل بي (يعني أن الله فعل به ذلك فكأنه يشكو الله تعالى إلى من كان يخاطبه) وما وجه هذا الانبساط وينبغي أن تجف الألسن في أفواهها هيبة ثم ما الذي يريده غير الذكر وقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع وهل يجوز في الشرع أن يلقي الإنسان نفسه أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا في طوقها ولا طلبه الشرع منها .

تعذيبهم أنفسهم بالجـــوع

ذكر الحافظ ابن الجوزي في الكتاب المذكور حكايات كثيرة في تعذيب المتصوفة أنفسهم بالجوع زادوا فيها على نساك الهند الوثنيين أضعافاً كثيرة ، أذكر منها شيئاً يسيراً فمن ذلك ما ذكره الحافظ ابن الجوزي في الكتاب المذكور صفحة ٢٠٠ حكى أبو حامد الطوسي عن سهم يعني ابن عبد الله التستري ، قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة ، وأكل دقائق التبن مدة ثلاث سنين ، واقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين .

ومن ذلك الترهب بترك التزوج وتعاطي أسباب المعيشة للتفرغ إلى عبادة الله بزعم المنتحلين لذلك ، وهذا من الجهل بسنة الله وفطرته ومحاولة تغييرها ، وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عبادة الله ليست منحصرة في الصيام والصلاة ، بل كل قول أو عمل يُراد به وجه الله هو عبادة وقد أوجب الله على عباده واجبات كثيرة فمن ضيع بعضها كمن ضيعها كلها ، عن أنس ابن مالك قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً ولا أنام ، وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر ، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ،

فمن رغب عن سنتي فليس مني . رواه البخاري ، وانما غضب النبي صلى الله عليه وسلم على أولئك الرجال لأمور ، منها أنهم جهلوا الأصل العظيم وهو أن كل قول وعمل يراد به وجه الله فهو عبادة وذلك خطأ عظيم يجر صاحبه إلى الضلال ، ومنها أنهم ظنوا أنهم أقوى على العبادة وأقدر عليها من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الخطأ أعظم مما قبله ، ومنها أنهم إذا شغلوا أنفسهم بنوع واحد من العبادة ضيعوا واجبات وحقوقاً أخرى فكانوا كمن قضى الدين بالدين ، وما أحسن قول الشاعر :

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن   قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

يوضح هذا المعنى حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو ذر أن أناساً قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال ، أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ، ان بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه زور ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) رواه مسلم . وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق رواه مسلم ، وعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل سلامي من أحدكم فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة) متفق عليه .

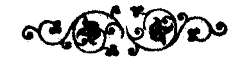
وفي حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في امـــرأتك) والآثار في هذا المعنى كثيرة اقتصرنا منها على ما يتسع له المقام .

وإذا تأملنا أنواع البر الواردة في هذه الأحاديث وحدها نجدها كثيرة . أولها ذكر الله بالقلب واللسان ، وثانيها ، الأمر بالمعروف ، وهو كل أمر مستحسن شرعاً ، وثالثها ، النهي عن المنكر ، وهو كل أمر محرم كالظلم والعدوان وتعدي حدود الله ، ورابعها ، التزوج ومباشرة الأهل لأن فيها طلباً للولد ، ومنعاً للزوجين من الوقوع في الموبقات والاستغناء عن الحرام بالحلال ، وخامسها حق الضيف والزائرين كما في حديث سلمان وأبي الدرداء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : إن لربك عليك حقاً ، وان لنفسك عليك حقاً ، وان لأهلك عليك حقاً وان لضيفك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه .

وهناك حقوق كثيرة كحـــق الأولاد والوالدين وسائر ذي القربى واليتامى والمساكين والأصحاب وابن السبيل إلى غير ذلك ، والترهب يضيع كل هذه الحقوق ، وقوله عليه الصلاة والسلام ، يصبح على كل سلامي من الناس صدقة ، السلامى العضو من أعضاء الجسم ، ففي كل صباح تكون على الانسان واجبات اجتماعية بقدر عدد أعضاء جسمه ، فإذا وجد اثنين متخاصمين فأصلح بينهما بالعدل فقد أدى واجب عضو من أعضاء جسمه ، وإذا وجد إنساناً يريد أن يركب دابته أو سيارته أو سفينته أو يحمل عليها متاعه وأعانه على ذلك ، فقد أدى واجب عضو آخر ، وإذا وجد في طريق الناس ما يؤذيهم فأزاله فقد أدى واجب عضو آخر ، والأنواع التي تؤذي الناس في طريقهم كثيرة ، منها الشوكة والحجر والنجاسات وقطع الطريق والسباع وكل ذوات السموم ويدخل في هذا بناء القناطر والسدود وتعبيد الطرق أي تسويته وتبليطه

وإزالة الأوحال والثلوج وغير ذلك ، ومن القربات جمع المال من طريق الحلال حتى يغني الإنسان نفسه وأهله ويترك لورثته ما يغنيهم . ومنها ملاطفة الزوجة باختيار لقمة شهية أو ثمرة ووضعها في فمها كما مضى في الحديث ، والمتبتل المنقطع للصلاة والصيام المعتزل عن الناس يفوته ذلك كله ، وغيره من التعلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وتشييع الجنازة وغير ذلك من القربات الاجتماعية .

وهذا الموضوع واسع لا يستوعبه مجلد ، فنمسك عنان القلم ونكتفي بهذا القدر .



نداء ومناشدة

تلقت مجلة الجامعة الإسلامية من فضيلة الأستاذ عصام العطار الداعية الاسلامي ، ومدير المركز الاسلامي في آخن نداء وجهه إلى المسلمين في كل مكان أفراداً ومنظمات وحكومات ، ليناشدوا حكومة البنغال في باكستان الشرقية أن تفوت على أعداء الإسلام ما يريدونه من تحطيم الأخوة الاسلامية بين شطري باكستان ، وذلك باعتزام حكومة البنغال تقديم أسرى الحرب الباكستانيين إلى المحاكمة كمجرمي حرب .

ونظراً لأهمية هذا النداء ، وحرصاً منا أن يصل إلى كل مسلم ، ليقوم بواجبه في هذا الموضوع الخطير ، رأت مجلة الجامعة نشره على صفحاتها ، وفيما يلي نص هذا النداء :

إن ما يحدث الآن في البنغال « باكستان الشرقية » من قتل وتنكيل بالمسلمين غير البنغاليين ، وبالبنغاليين الذين وقفوا مع وحدة باكستان ، وما تعتزمه حكومة البنغال من محاكمة (١٥٠٠) من الجيش الباكستاني الواقع في أسر الهند ، كمجرمي حرب . . . يشكل خطراً بعيد المدى على الاسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية ، ويزيد الشقة اتساعاً والهوة عمقاً بين المسلمين هناك ، ويضرب بعضهم ببعض ، ويمكن أعداءهم من اضعافهم واخضاعهم والتحكم في أمورهم ، مما لا يرضاه الله عز وجل ، ولا يقبله من كان في قلبه ذرة من الايمان ، ومن الشعور الصادق بأخوة الاسلام ، ومن الحرص على الاسلام والمسلمين . . .

اننا ندعوكم كما ندعو المسلمين في العالم كله حكومات وشعوباً ، ومؤسسات واتحادات وجماعات وأفراداً مؤثرين ، إلى أن تناشدوا السيد مجيب الرحمن وحكومة البنغال :

١ – انهاء عمليات الانتقام والقتل والتنكيل ، وإيقاف كل الاجراءات التي تعمق الهوة بينهم وبين باكستان ، وتساعد على باكستان أعداءها الطامعين ، وتصيب المسلمين في كل مكان ، وتسيء إلى سمعتهم وسمعة الاسلام ، وتحقق بأيدي المسلمين أهداف الأعداء الذين لا يريدون لهم إلا الدمار .

٢ – طي صفحة الماضي ، وفتح صفحة جديـــدة للمستقبل بعد هذه الأيام الشديدة القاسية ، والتجاوب مع باكستان في اتخاذ الاجراءات التي تنتقل بهما من الوضع السلبي إلى الوضع الايجابي .

إن هذا الأمر واجب تمليه مصلحة الاسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية وفي كل مكان .

وان هذا الأمر فريضة يفرضها الاسلام على المؤهلين للنهوض بها .

« إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »

وليكن جهد الاصلاح فوراً وقبل فوات الأوان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مدير المركز

عصام العطار

حجيّة السنة وبعض الشبهات التي تثار حولها

بقلم الدكتور : محمود أحمد طحان
المدرس في كلية الشريعة بالجامعة

الحمد لله منزل الكتب هداية للناس ، ومرسل الرسل بلسان أقوامهم ليوضحوا لهم ما يريده الله منهم ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وأنزل عليه القرآن الكريم ليبينه للناس ، ويوضح المراد من هذا الكتاب المنزل عليه ببديع بيانه وحسن فعاله .

أما بعد : فقد يقال إنه من فضول القول أن يبحث اليوم في حجيّة السنة وقد مضى على الاحتجاج بها من عامة المسلمين أربعة عشر قرناً ، فما فائدة هذا البحث ؟ وهل يوجد في الدنيا مسلم واحد ينازع في حجيّة السنة فيقول : إن السنة ليست حجة ، أو بمعنى أوضح ، هل يوجد من يقول : إن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا يلزمنا العمل بها ، وإنما يلزمنا العمل بالقرآن فقط .

الحقيقة أن جماهير المسلمين وعلماءهم أجمعوا من الصدر الأول إلى يومنا هذا على وجوب العمل بالسنة ، ومضى العمل على الاحتجاج بها من غير نكير ، وأنها حجة ملزمة

من حججِ الشرع يجب العمل بها – إذا صحت – كما يجب العمل بالقرآن الكريم ، إلا ما وجد من بعض الزائفين الذين قاموا بفتنة التشكيك بحجية السنة لأسباب واهية سنعرض لها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وقد رد عليهم جهابذة علماء المسلمين وعلى رأسهم الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتابيه « الرسالة » و « الأم » وباقي كتبه الأخرى ، حتى ألقمهم الحجر ، وانقرضت تلك الفئة الخبيثة الضالة ، وانقرضت فتنتها معها والحمد لله حتى ما يكاد يسمع بها إلا المتخصصون والباحثون في تاريخ السنة والتشريع الاسلامي .

لكن في هذه الفترة ، فترة زوال الخلافة الاسلامية ، وتضعضع المسلمين وتشتتهم وانقسامهم بشكل أزال قوتهم وخضد شوكتهم ، وجعلهم كقصعة ثريد تتداعى الأمم لأكلها في هذه الحالة التي لم يعد للإسلام من يمثله ولا من يحميه ظهر ناعقون ممن ينتسبون إلى الاسلام ، وممن لا ينتسبون ، ينعقون من هنا وهناك وبشكل مركز يظهر فيه أثر التواطؤ في الظلام على تنظيم هذه الحملات الأثيمة ضد الاسلام ، وذلك بهدم الركن الثاني من أركان تشريعه الخالد ألا وهو ركن السنة المطهرة ، وكانوا ماكرين في ذلك أشد المكر ، لأنهم علموا أن هدم الاسلام لا يمكن أن يكون بنقد تشريعاته ، لأنها تشريعات حكيمة ، معقولة ، يفاخر بها المسلمون غيرهم من أهل الديانات السماوية وأهل القوانين الوضعية في إحكامها وحسن ترتيبها وشمولها لجميع ما يحتاجه بنو البشر .

لذلك عمدوا إلى هذا الطريق الماكر الخبيث في عداء الاسلام وهدم أكثر تشريعاته وذلك بتشكيك المسلمين في حجية السنة ووجوب العمل بها ، ومعلوم أن أكثر تشريعات الاسلام لا سيما التشريعات التفصيلية مبنية على السنة النبوية الشريفة .

وقاموا بهذا التشكيك الخبيث في صورة أبحاث علمية مبنية على أشياء علمية على حسب زعمهم ، وتظاهروا بالحرص على عقول المسلمين من أن تنجرّ إلى التقليد ، وتقول بشيء ما أنزل الله به من سلطان .

ولقد انخدع بزخرف قولهم بعض

الشباب المثقفين في هذا العصر لأسباب أهمها :

١ ــ ضعف الثقافة الاسلامية لديهم

٢ ــ طغيان الثقافة الأجنبية على المجتمع الاسلامي .

٣ ــ ضعف الوازع الديني والميل إلى التفلت من أحكامه وتكاليفه .

٤ ــ عدم وجود الدولة الاسلامية التي تمثل الاسلام وتحميه من أعدائه أينما كانوا من الأرض . وصار بعض هؤلاء الشباب المخدوعين إذا ناقشته في قضية إسلامية واستشهدت على ما تقول بحديث من أحاديث الرسول الصحيحة ، ضحك مستهزئاً وقال : ليس الحديث حجة في إثبات الأحكام ، فهل عندك نص من القرآن على ما تقول ؟!...

وهذا في الحقيقة ــ ولو لم ينتشر ــ خطير جداً إن لم يتدارك ، لأنه لو انتشر ــ لا سمح الله ــ فإن معناه هدم كثير من أحكام الاسلام التي مستندها السنة والأحاديث الصحيحة .

والأدهى من ذلك كله أن يكون هذا الهدم الرهيب باسم النقاش العلمي ، وباسم الدين وباسم الفهم الصحيح له عن دليل يقيني كما يزعمون ، ولو كان هذا الهدم باسم التفلت العلني الصريح من أحكام الاسلام لكان الأمر أهون .

لأجل هذا سنعرض بعض الأدلة من القرآن والسنة وإجماع المسلمين والمعقول على وجوب العمل بالسنة ، وأن ترك العمل بها ضلال مبين ، كما سنعرض الشبهات التي أثارها المغرضون قديماً وحديثاً ، من المستشرقين والمتأثرين بهم من تلامذتهم وصنائعهم الذين يرددون ما يقول أسيادهم . ثم ندحض هذه الشبهات واحدة واحدة بالإجمال لعدم اتساع المقام .

أما الأدلة على حجية السنة من القرآن الكريم فكثيرة ، وقد ساقها علماء أصول الفقه في أول بحثهم في الأصل الثاني من أصول التشريع ألا وهو السنة ، فمن هذه الآيات ما يلي :

١ ــ **« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »** .

٢ ــ **« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين »** .

٣ ــ **« فليحذر الذين يخالفون عن**

أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليـــم » .

٤ ــ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومـــن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً » .

٥ ــ « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .

٦ ــ « وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

٧ ــ « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

وأما الأدلة من السنة فكثيرة جداً ، وقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه المشهور « الكفاية في علم الرواية » باباً استهل به كتابه فقال : « باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب العمل ولزوم التكليف » ثم ساق نصوصاً كثيرة من السنة لدعم هذا العنوان ، نجتزىء منها ما يلي :

ساق الخطيب بأسانيد متعددة عن المقدام بن معد يكرب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّم أشياء يوم خيبر ثم قال : يوشك رجل متكئ على أريكته يُحَدّث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله عز وجل ، وأخرج هذا الحديث بألفاظ متقاربة أبو داود والترمذي والدارمي والإمام أحمد ، وزاد أبو داود « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » .

وساق بسنده إلى أبي رافع أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ، وفي رواية عن أبي رافع أيضاً بلفظ : عندنا كتاب الله ليس هذا فيه . وبسنده إلى جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لعل أحدكم أن يأتيه حديث من حديثي وهو متكىء على أريكته فيقول: دعونا من هذا ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا .

وبسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال أصحاب الحشايا يكذبونني ، عسى أحدكم يتكىء على فراشه يأكل مما أفاء الله عليه ، فيؤتى يُحَدَّث عني الأحاديث يقول: لا أرب لي فيها ، عندنا كتاب الله ، ما نهاكم عنه فانتهوا ، وما أمركم به فاتبعوه .

وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وقد أطلعه الله على ما سيكون في المستقبل يوجه قوله هذا إلى ما يدعون أنهم أهل القرآن ، أو « القرآنيّون » الذين لا يأخذون إلا بالقرآن الكريم ، ولا يحتجون بالسنة ولا يعملون بالأحاديث ، وقد ظهر منهم الآن ناس في بعض أصقاع من الهند ، وردد أفكارهم بعض الزائفين في مصر ، لكن كانوا جميعاً موضع سخرية واستخفاف من جمهور المسلمين وعلمائهم ولله الحمد والمنّة .

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء من عصر الصحابة إلى يومنا هذا بأن السنة هي الأصل الثاني من أصول التشريع ، وأنها حجة في اثبات الأحكام تبعاً للقرآن ، واستقلالاً في بعض الأحكام .

وأما المعقول ، فمن المعلوم لدينا أن الله سبحانه وتعالى قال مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون** » .

إذن فالرسول صلى الله عليه وسلم مكلف ببيان المراد من الآيات المنزلة ، وبيان كيفية تطبيقها على الحوادث ، ولأجل هذا كان الصحابة يرجعون إليه في فهم كل ما أشكل عليهم فهمه ويستفتونه فيما يقع لهم من الحوادث ، فيبين لهم النبي عليه السلام ما أشكل عليهم .

فعلى سبيل المثال ، نزلت آية الصيام ، ولم يذكر فيها حكم الأكل والشرب بطريق النسيان ، فاستشكل بعض الصحابة الذين وقعوا في هذا ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كلفه ربه بالبيان ، فقال يا رسول الله أكلت ناسياً وأنا صائم ،

فأفتاه النبي صلى الله عليه وسلم بأن صومه صحيح ، وقال له : تمّ على صومك فإنما أطعمك ربك وأسقاك وذلك لأن الخطأ والنسيان معفو عنهما ، واستنبط الرسول ذلك من قوله : **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)** وقوله **(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)** فهل يقال : إن هذا الحديث مخالف للقرآن لأنه ليس فيه أن الصوم لا يفسده الأكل بالنسيان صراحة ، أو هل يقال إنه لم يكن للنبي عليه السلام أن يستنبط هذا الحكم من الآية الأخرى التي لا تتعلق بالصوم ؟

فلو قال قائل : نعم ليس للرسول أن يستنبط ويفتي الناس بما ليس في القرآن صراحة .

نقول له عجباً لك ، إذا كان من المقرر أنه يجوز للعلماء حتى في هذا العصر أن يستنبطوا من القرآن الأحكام مع بعدهم عن العصر والمحيط اللذين نزل فيهما ، أفمن يجوز هذا لمن نزل عليه القرآن ، وأُمر بتبيينه مع أنه أفصح أهل اللسان .

ولا يخفى على أحد أن كل الناس ليسوا سواءً في الاستعداد والفهم وصفاء الذهن ولذلك نرى أن القرآن الكريم يقرأه كل أحد ، ولكنهم يختلفون في فهم معانيه ، فالعالم يفهم منه مالا يفهمه الجاهل والعلماء أيضاً متفاوتون في الفهم والعلم ، وقد أمرنا الله تعالى بالرجوع إلى العلماء بقوله : **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** وبيّن اختلاف الناس في درجات الفهم بقوله : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب)** .

إذا سلمنا هذين الأمرين ، وهو أن الرسول مكلف ببيان القرآن ، وأن الناس متفاوتون في الفهم ، إذاً فمن أحق ببيان وإيضاح معاني القرآن ، والتطبيق العملي لآياته ؟ الحق أنه لا يوجد أحق من الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا البيان ، هذا البيان الذي سلمنا أن الرسول هو أحق الناس به ، هو ما يسمى بالسنة أو الحديث النبوي الشريف ، وهذا البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم يوحي من الله تعالى كما مرّ في الحديث : (ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه)

فالرسول أوتي القرآن وبيانه وهو السنة .

على أنّ الأحكام المستمدة من السنة مأخوذة في الحقيقة من القرآن الكريم وتوجيهه العام ، ومستقاة من أصوله ، ومستوحاة من أهدافه ، إذ أنها إما تخصيص لعمومه أو مفسرة لمجمله أو مقيدة لمطلقه ، أو شارحة لكيفية تطبيق بعض أحكامه وهذا ما فهمه الصحابة وعلموه وهــو أن السنة وأحكامها تعتبر مأخوذة من القرآن الكريم لأن الله قد أحال المسلمين في بعض نصوصه إلى السنة ، وقصة المرأة الأسدية مع عبد الله بن مسعود في لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة حينما قالت لقد قرأت ما بين دفتي المصحف فلم أجد اللعن فيه ، قال أما إنك لو قرأت لوجدتيه ، ألم تقرأي قوله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** فالأخذ بالسنة في الواقع أخذ بالقرآن لأن القرآن أحالنا عليها في بعض الأحكام ، كما أن السنة هي التاريخ التطبيقي للقرآن ، فالجهل بها جهل لكيفية تطبيق القرآن ، كما أنها المصدر الوحيد لمعرفة سبب النزول ، ومعرفة ناسخ القــرآن ومنسوخه ، وهذه أمور ضرورية جداً لتحديد معنى النص القرآني في كثير من الآيات .

ولنضرب أمثلة حية من أحكام السنة المخصصة لعموم محكم القرآن أو المفسرة لمجمله :

١ ـ قال تعالى : (**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كنّ نساءً فوق اثنتين فلهما ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث** » .

فإن ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يرث ولده وكل مولود يرث والده ، لكن جاءت السنة فبينت أن المراد بذلك مع اتفاق الدين بين الوالدين والمولودين وأما إذا اختلف الدينان فإنه مانع من التوارث . واستقر العمل على ما وردت به السنة في ذلك فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أسامة بن زيد أنه قال : لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم »

٢ ـ قال تعالى في المرأة التي يطلقها

زوجها ثلاثاً : « **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** » فاحتمل أن يكون المراد به عقد النكاح وحده واحتمل أن يكون المراد بـــه العقد والإصابة معاً فجاءت السنة فبينت أنّ المراد به الإصابة بعد العقد . فعن عائشة رضي الله عنها أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبتّ طلاقها فنكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنها كانت تحت رفاعة فطلقها آخر ثلاث تطليقات فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير وإنه والله ما معه إلا مثل هذه الهدبة وأخذت بهدبة من جلبابها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً وقال : لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته ، قالت وأبو بكر جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد بن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة لم يؤذن له فطفق خالد ينادي أبا بكر ألا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ قـــال تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم)** لكن ليس في الآية الكريمة بيان قيمة المسروق ولا الحرز الذي هو شرط القطع ولم تبين الآية الكريمة من أين تقطع يد السارق أمن الكف ؟ أم من المرفق أم من المنكب فجاءت السنة فبينت مقدار المسروق وهو ربع دينار كما بينت الحرز وهو يختلف لأنه يكون في كل شيء بما يناسبه ، كما بينت السنة أن القطع يكون من مفصل الكف.

٤ ــ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، فمنها الصلوات الخمس ، فإن الله تعالى قال في القرآن الكريم : **(وأقيموا الصلاة)** ، وليس في القرآن بيان عدد الصلوات ولا تحديد أوقاتها ، ولا عدد الركعات في كل صلاة ، ولا كيفياتها ، فجاءت السنة فبينت كل ذلك تفصيلاً ، وهكذا الزكاة والحج وكثير مـــن العبادات والمعامـــلات والأحكام الأخرى .

وإني لأتوجه إلى منكري حجية السنة . فأقول لهم : إذا كنتم لا تعتبرون السنة حجة عليكم ، ولا تعملون بها فكيف تقيمون الصلاة أخذاً مـــن القرآن ، وكيف تؤدون الزكاة وكيف

تقطعون يد السارق وتقيمون الحدود . وتوزعون المواريث والتركات ؟

فماذا يكون جوابهم يا ترى ؟ سبحانك ربنا هذا ضلال مبين .

وهذه الفتنة ليست بحديثة العهد ، فقد قذفها الشيطان في نفوس بعض الناس في القرن الأول ، فهذا الخطيب البغدادي يسوق بسنده في كتابه « الكفاية » إلى الصحابي الجليل عمران ابن حصين رضي الله عنه أنه كان جالساً ومعه أصحابه يحدثهم ، فقال رجل من القوم لا تحدثونا إلا بالقرآن ، فقال له عمران بن حصين : أُدْنُهْ ، فدنا ، فقال أرأيت لو وُكلتَ أنت وأصحابك إلى القرآن ، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً ، وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً ، تقرأ في اثنتين ، أرأيت لو وُكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً ، والطواف بالصفا والمروة ، ثم قال أي قوم ، خذوا عنا فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلُنّ .

وفي رواية أخرى أن رجلاً قال لعمران بن حصين ، ما هذه الأحاديث التي تحدثوناها وتركتم القرآن ؟ قال : أرأيت لو أبيت أنت وأصحابك إلا القرآن ، من أين كنت تعلم أن صلاة الظهر عدتها كذا وكذا ، وصلاة العصر عدتها كذا ، وحين وقتها كذا ، وصلاة المغرب كذا ، والموقف بعرفة ، ورمي الجمار كذا ، واليد من أين تقطع ، أمن هنا أم ههنا أم من ههنا ، ووضع يده على مفصل الكف ، ووضع يده عند المرفق ، ووضع يده عند المنكب ، اتبعوا حديثنا ما حدثناكم وإلا والله ضللتم .

وساق بسنده إلى أبي أيوب السختياني أنه قال : إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا وحدثنا بالقرآن فاعلم أنه ضال مضل .

وبعد هذا العرض الموجز لأدلة حجية السنة من القرآن والسنة والإجماع والمعقول يفرض للشبهات التي أثارها منكروا حجيّة السنة ومنتقدوا طريقة المحدثين في جمع الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه ، في القديم والحديث .

لقد تعرضت السنة لمن ينكر حجيتها قديماً وحديثاً أما في القديم ، فلم يأت القرن الثاني حتى ظهر من ينكر

أنها مصدر من مصادر التشريع ، ومنهم من أنكر حجية غير المتواتر منها كما ظهر من ينكر منها ما لا يكون بياناً للقرآن أو مؤكداً له .

وأول من تعرض لدحض تلك الآراء الخبيثة الإمام الشافعي رحمه الله — فيما أعلم — فقد ذكر في آخر كتاب « الأم » مناظرة جرت بينه وبين من يُنسب إلى العلم بمذهب أصحابه ممن يردّون الأخبار كلها ، كما عقد في « الرسالة » بحثاً مستفيضاً أثبت فيه وجوب اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن طاعته مقرونة بطاعة الله ، وبيّن كيف أجمع الصحابة وأهل العلم على العمل بخبر الواحد في مسائل كثيرة من أحكام الشريعة سردها رحمه الله سرداً قوياً مقنعاً .

ولم يبين الشافعي رحمه الله تعالى مَن هذه الطائفة التي ردت الأخبار كلها ، ولا من هو الشخص الذي ناظره في ذلك ورأي الشيخ الخضري رحمه الله أن الشافعي يعني بذلك المعتزلة ، لأن الشافعي قد صرح بأن صاحب هذا المذهب منسوب إلى البصرة ، وكانت البصرة آنذاك مركزاً لحركة فلسفية كلامية ، ومنها نبغت مذاهب المعتزلة ، فقد نشأ بها كبارهم وكتّابهم ، وكانوا معروفين بمخاصمتهم لأهل الحديث . ودعم الخضري قوله بما تعرض له ابن قتيبة في كتابه « تأويل مختلف الحديث » من الرد على شيوخ المعتزلة فيما كانوا يطعنون به الصحابة وكبار التابعين .

وفي الحقيقة أن غارة شعواء شُنّت في العصر الذي كتب فيه الشافعي رسالته أو قبل ذلك بقليل من المتكلمين على أهل السنة وأهل الحديث وبالتالي على السنة التي يشتغلون بها ويدعون الناس إلى الاحتجاج بها ، فقد كان غلاة المعتزلة يريدون تحكيم العقل وطرح نصوص السنة .

ولكن الامام الشافعي ناقشهم ، وأطال النقاش معهم حتى ألقمهم الحجر ، ويتضح مما ذكره الشافعي من رأي منكري حجيّة السنة ، ومما ذكره العلماء من آراء بعض شيوخ المعتزلة أنهم ينكرون حجيتها من حيث الشك في طريق ثبوتها وما يلحق رواتها من خطأ أو وهم ، أو ما يندس بينهم من وضاعين وكذابين ، لا أنهم

ينكرونها من حيث هي أقوال للنبي صلى الله عليه وسلم وأفعال وتقريرات ثابتة عنه ، فإن أي مسلم مهما كان لا يقول بذلك ، وهذا في الحقيقة تستّر ماكر وراء تلك الشبهات التي يثيرونها حول صحة نسبة السنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظنية ثبوتها على فرض صحتها وأن الظني لا يمكن أن تبنى عليه أحكام شرعية .

وتتلخص شبهات من يرد غير المتواتر من السنة أو يرد السنة كلها كما حكاها الإمام الشافعي عنهم بما يـلي :

أما من يرد غير المتواتر منها فيقول : إن خبر الواحد (أو خبر الآحاد) يفيد الظن بالنسبة لثبوته نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والظني الثبوت لا يجوز أن نبني عليه أحكاماً شرعية .

وقد رد عليهم الشافعي ببحث طويل مستفيض في (الرسالة) بمـا يقارب المائة صفحة وفي بعض طبعات هذا الكتاب ، وأتى بأدلة على حجية خبر الواحد ، أقواها عمل الصحابة وإجماعهم على الأخذ بخبر الواحد والاحتجاج به حتى في الأمور العظيمة الخطيرة وأتي بأمثلة كثيرة أسوق مثالاً واحداً منها طلباً للإختصار ، هذا المثال هو تحول أهل قباء وهم في صلاة الفجر من التوجه إلى بيت المقدس واستقبالهم بيت الله الحرام بخبر واحد . وهذا ما قالة الشافعي في الرسالة . قال الشافعي :

«وأهل قباء أهل سابقة من الأنصار وفقه ، وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم استقبالها ، ولم يكن لهم أن يدعوا فرض الله في القبلة إلا بما تقوم عليهم الحجة ، ولم يلقوا رسول الله ولم يسمعوا ما أنزل الله عليه في تحويل القبلة ، فيكونون مستقبلين بكتاب الله وسنة نبيه سماعاً من رسول الله ولا بخبر عامّة ، وانتقلوا بخبر واحد إذ كان عندهم من أهل الصدق عن فرض كان عليهم فتركوه إلى مـا أخبرهم عن النبي أنه أحدث عليهم من تحويل القبلة ، ولم يكونوا ليفعلوه — إن شاء الله — بخبر واحد إلا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله ، إذا كان من أهل الصدق . . . إلى آخر مـا قال . . . » (١) .

---

(١) الرسالة للشافعي ص٤٠٦-٤٠٧ ، طبعة مصطفى البابي الحلبي بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

وقد عقد الخطيب البغدادي في « الكفاية » باباً سماه « باب ذكر بعض الدلائل على صحة العمل بخبر الواحد ووجوبه » استهله بقوله « قد أفردنا لوجوب العمل بخبر الواحد كتاباً ، ونحن نشير إلى شيء منه في هذا الموضع ، إذ كان مقتضياً له » ثم قال : « فمن أقوى الأدلة على ذلك ما ظهر وانتشر عن الصحابة من العمل بخبر الواحد » (١) ثم ساق الأمثلة والشواهد على احتجاج الصحابة بخبر الواحد . إلى أن ختم الباب بقوله « وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا ، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ، ولا اعتراض عليه ، فثبت أن من بينهم دين جميعهم وجوبه ، إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه والله أعلم » (٢) .

وأما من يرد الأخبار كلها فيمكن حصر شبهتهم بأن القرآن جاء تبياناً لكل شيء . فإن جاءت الأحاديث بأحكام جديدة لم ترد في القرآن ، كان ذلك معارضة من ظني الثبوت وهو الحديث القطعي الثبوت وهو القرآن ، والظني لا يقوى على معارضة القطعي .

وإن جاءت مؤكدة لحكم القرآن كان الاتباع للقرآن لا للسنة .

وإن جاءت لبيان ما أجمله القرآن كان ذلك تبياناً للقطعي الذي يكفر من أنكر ثبوته بالظني الذي لا يكفر من أنكر ثبوته .

وهذه التقسيمات في الحقيقة فلسفة فارغة تعارض ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العمل بالحديث بمجرد ثبوته ، ولو من طريق شخص واحد إذا توفرت فيه شروط الراوي المعروفة من العدالة والضبط وغير ذلك .

ويتخلص جواب الشافعي عن شبه هؤلاء بما يلي :

١ ــ إن الله تعالى أوجب علينا اتباع رسوله ، وهذا عام بمن كان في زمنه وكل من يأتي بعده ، ولا سبيل إلى ذلك

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٢٦

(٢) المصدر السابق ص ٣١

لمن لم يشاهد الرسول إلا عن طريق رواية الأحاديث ، فيكون الله قد أمرنا باتباعها وقبولها ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به كان واجباً .

وحتى أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتيسر لمجموعهم — مع أنهم في زمنه أن يسمعوا جميع ما قاله الرسول منه مباشرة ، فكثيراً ما كان يسمعها البعض ، ويبلغونها غيرهم فيعملون بها جميعاً ، السامع والمبلّغ .

٢ — إنه لا بد من قبول الأحاديث لمعرفة أحكام القرآن نفسه ، فإن الناسخ والمنسوخ لا يعرفان إلا بالرجوع إلى السنة .

٣ — إن هنالك أحكاماً متفقاً عليها بين جميع أهل العلم وطوائف المسلمين قاطبة حتى الذين ينكرون حجية السنة — كعدد الصلوات المفروضة ، وعدد الركعات ، وأنصبة الزكاة وغيرها ، ولم يكن من سبيل لمعرفتها وثبوتها إلا السنة .

٤ — إن الشرع قد جاء بتخصيص القطعي بظني ، كما جاء في الشهادة على القتل والمال ، فإن حرمة النفس والمال مقطوع بهما ، وقد قُبلت فيهما شهادة الاثنين ، وهي ظنية بلا جدال .

٥ — إن الأخبار وإن كانت تحتمل الخطأ والوهم والكذب ، ولكن الاحتمال بعد التأكد والتثبت من عدالة الراوي ومقابلة الرواية بروايات أقرانه من المحدثين يصبح أقلّ من الاحتمال الوارد في الشهادات خصوصاً إذا عضد الرواية نص من كتاب أو سنة فإن الاحتمال يكاد يكون معدوماً.

ولعمري هذه إجابات موفقة مخرسة ألهمها الله تعالى للإمام الشافعي حفظاً لدينه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالحمد لله على توفيقه ؟

وأما قولهم إن الله أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء فإن من المعلوم أن الله لم ينص على كل جزئية من جزئيات الشريعة وإنما بين أصول الشريعة ومصادرها وقواعدها ومبادئها العامة .. ومن الأصول التي بينها وجوب العمل بسنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كما في قوله تعالى : « **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » . . . هذه هي الشبهات

والهجمات التي تعرضت لها السنة من قبل مفكريها في القديم ولكنها لم تثبت أمام الحق ولم يكتب لها البقاء أمام جهود العلماء من أئمة السنة وأئمة الإجتهاد وطوائف المسلمين المتعددة فرسخت دعائم السنة وقام عليها كيان التشريع الاسلامي العظيم وكانت تلك الشبهات التي ألقاها أصحابها كزوبعة هوجاء ما لبثت أن زالت وصحا الجو ولم يبق لها من أثر . . . وبقيت الحال كذلك إلى أوائل هذا القرن إذ سمعنا من جديد إثارة الفتنة حول حجية السنة وبعثها من جديد وتناسى مثيروها أن سلفهم من شياطين الإنس قد أثاروها من القديم ثم خنسوا لما تلقوا الردود المفحمة التي أخرستهم . . وفي الحقيقة فإن الدافع الذي يكمن وراء هذه الحملات في القديم والحديث واحد وهو الكيد للإسلام وهدمه ، وذلك بهدم الركن الثاني من أركانه ، فإن الذي كان وراء المعتزلة الذين تولوا أكبر معارضة السنة وأهل الحديث هو الفلسفة اليونانية الحاقدة على الإسلام ، وكذلك فإن حركة الإستشراق اليهودية والنصرانية معاً هي التي تكمن وراء إثارة هذه الشبهات حول حجية السنة في هذا العصر . . . فهذا كبير المستشرقين « المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر » الذي يعد أشد المستشرقين خطراً وأكثرهم خبثاً وافساداً في هذا الميدان وذلك لسعة اطلاعه على المراجع الاسلامية حتى اعتبر زعيم المستشرقين ولا تزال كتبه وبحوثه مرجعاً خصباً وأساسياً للمستشرقين في هذا العصر . . وكان له أكبر الأثر في التشكيك بالسنة وترى أراءه منثورة في كتبه المتعددة . . وأهم شبهة له ما زعمه من أن القسم الأكبر من الحديث ليس وثيقة للإسلام في عهده الأول « عهد الطفولة » ولكنه أثر من آثار جهود المسلمين في عصر النضج يقول جولد تسيهر : « إنّ القسم الأكبر من الحديث ليس إلاّ نتيجة للتطور الديني والسياسي والإجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني » ومعلوم أن هذا زعم باطل تكذبه النصوص الثابتة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد وضع الأسس الكاملة لبنيان الإسلام الشامخ بما أنزل الله عليه في كتابه وبما سنه عليه الصلاة والسلام من سنن وشرائع وقوانين شاملة وافية ، حتى قال صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته « تركت فيكم أمرين

لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ، ومن المعلوم أن من أواخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب الله تعالى **(اليوم أكملت لكم دينكم . .)** وذلك صريح في كمال الإسلام وتمامه ، فما توفي الرسول عليه السلام إلاّ والإسلام ناضج كامل لا طفل يافع كما يدعي «جولد تسيهر » .. وتبع هذا المستشرق عدد من المستشرقين كشاخت وغيره فأثاروا شبهات حول السنة تتعلق بالتشكيك في نسبة السنة للرسول صلى الله عليه وسلم وأنها من وضع الناس وإن المحدثين وإن اعتنوا بالنقد الخارجي أي نقد السنة إلاّ أنهم لم يعتنوا بالنقد الداخلي أي نقد المتن وكنا لا نعبأ بشبهات هؤلاء الكفرة وأضاليلهم المتهافتة لولا أن ناساً ممن يسمون أنفسهم علماء أو كتّاباً إسلاميين تلقفوا كلام أولئك المستشرقين وصاروا يلوكونه ويلوحون به على شكل مقالات في الصحف أو أبحاث في طيات الكتب متظاهرين بالبحث العلمي والتجديد في البحث وهم في الحقيقة إمّا جهلة أو مأجورون أخباث وإن كنت شخصياً أرجح الثانية . . .

فمن هؤلاء « أبو رية » فقد نشر كتاباً اسمه « أضواء على السنة المحمدية » وكل ما في هذا الكتاب تشكيك بالسنة وصحة نسبتها للرسول عليه السلام وكله سباب وشتم وطعن في الصحابي الجليل راوية الإسلام « أبي هريرة » وذلك باستشهادات مبتورة محرّفة وتأويلات باطلة تروق له ولمن دفعه من المستشرقين ، ولا أحب عرض أي شيء من كتابه هذا لتفاهة الكتاب وتفاهة مؤلفه وإن كان قد ردّ عليه كثير من العلماء في مصر وغيرها . .

ومنهم أيضاً أحمد أمين في كتابه « ضحى الإسلام » (١) يقول في الجزء الثاني منه ص ١٣٠ ما يلي : « وفي الحق أن المحدثين عنوا عناية كبيرة بالنقد الخارجي ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلي فقد بلغوا الغاية في نقد الحديث من ناحية رواته جرحاً وتعديلاً فنقدوا رواة الحديث في أنهم ثقات أو غير ثقات وبينوا مقدار درجتهم في الثقة وبحثوا هل تلاقى الراوي والمروي عنه أو لم يتلاقيا ، وقسموا الحديث باعتبار ذلك ونحوه

---

(١) ٢ / ١٣٠

إلى حديث صحيح وحسن وضعيف ، وإلى مرسل ومنقطع وإلى شاذ وغريب وغير ذلك . ثم قال : ولكنهم لم يتوسعوا كثيراً في النقد الداخلي فلم يتعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا ؟ ! وقال أيضاً « كذلك لم يتعرضوا كثيراً لبحث الأسباب السياسية التي قد تحمل على الوضع فلم أرهم شكوا كثيراً في أحاديث لأنها تدعم الدولة الأموية أو العباسية أو العلوية الخ ما قال : . . . وتبعه على هذا الدكتور أحمد عبد المنعم البهي في مجلة العربي الصادرة بالكويت في نيسان ١٩٦٦ العدد ٨٩ ص ١٣ إذ يقول : إن رجال الحديث كان كل همهم منصرفاً إلى تصحيح السند والرواية دون الإهتمام بتمحيص متن الحديث نفسه الذي هو النص . والحقيقة أن كلام هذين الشخصين كلام من لم يمارس فن المصطلح وعلومه أوفى ممارسة فإن علماء المصطلح اعتنوا بنقد المتن كما اعتنوا بنقد السند تماماً ، فهذه الشروط التي وضعها علماء المصطلح للتصحيح ، فإنّ منها أن لا يكون الحديث شاذاً ولا معلّلاً ، ثم يذكرون بأن الشذوذ قسمان : شذوذ في المتن وشذوذ في السند وكذلك يقولون أن العلة قد تكون في المتن كما تكون في السند . . . فلو كان أحمد أمين وأحمد عبد المنعم يحترمان نفسيهما لما قالا هذا القول الذي يدل على جهلهما بمبادىء علم المصطلح التي يتلقاها المبتدئون من طلبة العلم . لكن الكسب المادي الحرام وحب التظاهر والتقليد للمستشرقين والتظاهر أمام الناس بمعرفة شيء خفي «بزعمهم» على الأئمة هو الذي أوقعهما وأوقع غيرهما في مثل هذه الورطة . . . والشيء الذي يلفت النظر أنّ مجلة العربي نشرت مراراً للدكتور أحمد عبد المنعم المذكور وغيره مقالات في الطعن بالسنة والحديث النبوي الشريف والتشكيك في نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن الطعن نال الأحاديث التي جاءت في صحيح البخاري وذلك بأسلوب حقير واضح الحقارة ليس فيه أثر من علم ولا دين . وبشكل لا تُحسد عليه مجلة العربي ولا تُشكر . . فيجب التنبه إلى تلك الأقلام الأثيمة في تلك المجلة والتنقيب

عمن يكمن وراء تلك الحملات المغرضة على السنة وكتب الحديث الصحيحة . . . هـــذا جهد متواضع عرضتُه بإيجاز لضيق المقام وذلك تنبيهاً لشبابنا الصاعد من أن تقع في أيديهم تلك المقالات الأثيمة فيخدعوا بزخرفها وربما يداخلهم الشك في صحة نسبة السنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي إلى أنها لا تصلح لأن يحتج بها وما أظن أني وفيت الموضوع حقه في هذه العجالة ولكن عسى الله أن ينفع بهذا التذكير البسيط شبابنا المؤمن والحمد لله رب العالمين .



من تاريخ الحروب الصليبية

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

كتب متولي عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش في العشر الأول من شعبان إلى السلطان إنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم خوفاً من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين وتضعف القلوب .

وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقوم بالميرة إلى عكا فتأخر سيره ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف فيها من الميره ما يكفي أهل البلد طول الشتاء وهي صحبة الحاجب لؤلؤ فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ويتلف ما فيها فاقتتلوا في البحر قتالاً شديداً . والمسلمون في البر يبتهلون إلى الله عز وجل في سلامتها والفرنج أيضاً براً وبحراً وقد ارتفع الضجيج فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ودخلت البلد سالمة ففرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً . وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت فيها أربعمائة غرارة وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير وكانت هذه البطشه من بطش الفرنج المغنومة . رأى من فيها من التجار أن يلبسوا زي الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم وشدوا الزنانير واستصحبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من

كبد القوس فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها . ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميره . والحرب خدعة فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيراً فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين ولم يزالوا في أمرها محتالين . حتى أرسل الله عليها شواظاً من نار فأحرقها وأغرقها وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً . وأخرى خلفها فيها حطب محض فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين واحترقت الأخرى وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى وذلك لشدة الهواء تلك الليلة فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت . ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت . وهلك من فيها فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين في قوله تعالى : « **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين** » .

البداية ج١١ ص ٣٣٧

المسئولية بين الفرد والمجتمع

بقلم الشيخ محمد أبو فرحه
المدرس في الجامعة

المجتمع الاسلامي في نظر الاسلام : وحدة واحدة لا تتجزأ ، ولا يجوز أن تترك ليصيبها العطب أو الفساد ، ولا أن يهمل جزء منها ليصاب بالعطب أو الفساد ، ولا سبيل إلى صيانتها إلا بأن يقوم كل فرد بعمله ، حاكماً أو محكوماً ، وأن يكون مخلصاً في عمله مضحياً للجماعة التي ينتمي إليها ، بشيء من راحته ووقته ، وبجزء من ماله وجهده ، برضا نفس ، وسماحة قلب ، حتى يظل الترابط والتماسك قائماً ، ويبقى التراحم والتواد بين الأفراد موجوداً فإن الأفراد هم اللبنات التي يتكون منها المجتمع ، والخلايا التي ينتج عن تماسكها هذا الكائن الحي المسمى بالأمة . وطالما كانت الخلايا سليمة تؤدي وظائفها ظل المجتمع سليماً معافى ، يفيض على خلاياه الصحة والقوة ، ويدفع عنها كل خطر خارجي ، ويعوضها عن كل نقص داخلي .

نعم لا بدّ وأن يشعر الفرد بأنه ابن بار لمجتمعه ، وعضو نشيط في أمته يسعد بسعادتها ، وينفعل بأحاسيسها ، وينغصه تأخرها عن غيرها . والمجتمع يحرسه ويحافظ عليه ، محافظة الأب الرحيم والأم الرءوم على وليدها .

فإذا ما استيقظ ضمير الفرد نحو أمته بالحب والاخلاص والتضحية ، واستيقظت الأمة تحمي أفرادها ، كان ذلك المجتمع في كنف الله ، مستظلاً برعايته « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وأمة هذا شأنها يتنزل عليها نصر الله ، من سماء الله ، على يد ملائكة الله وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

لقد جعل الله الفرد مسئولاً شخصياً عن حراسة نفسه ، عن الاضرار بأمته ، ومسئولاً عن حراسة الأمة في بيئته : مسئولاً عن عمله واتقانه ، والأمانة فيه ، مسئولاً عن محاربة الجرائم الظاهرة والخفية وعن محاربة الاتجاهات الخبيثة التي تضر الأمة في حاضرها أو تؤذيها في مستقبلها . مسئولاً عن كل ذلك مهما يلاقي في سبيله من مشقة ومتعبة ، لأن الله جعله جندياً ، ميّزه بالعقل وطالبه بالمحافظة على منطقته .

فإذا قام الفرد بواجبه على هذا النحو ، ولم يجد تقديراً أو جزاءاً من مجتمعه فلا يخشى بأساً ولا فواتاً ، فإنه إذا لم ينصفه أهل الأرض ، فسوف لا يضيعه رب السماء ، وان عدالة الله أكرم من أن تضيع جزاء المعروف بين الله والناس . بل كلما تحمل الفرد شــدة في جهاده ومشقة في اصلاح أمته ، أعظم الله له الأجر . وكلما قل عدد المجاهدين : ارتفعت درجاتهم ، وزاد ثوابهم . ان الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر هؤلاء الذين يضيئون لغيرهم وسط الظلام السابغ ، ويؤدون واجبهم في دوامة التحلل وشمول الفساد ، ويتمسكون بالفضيلة ويعملون بها ، وقد انصرف الناس عنها ويدعون إليها ، وسهام السخرية تصوب إليهم من كل جانب ، يبشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمقدار ثوابهم فيقول « المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد » رواه الطبراني عن أبي هريره .

وإذا كان الفرد مسئولاً عن مجتمعه الذي يعيش فيه ، وعن أمته التي ينتسب إليها بمقدار ما أعطاه الله من ميزات وما منحه من عطايا وبمقدار ماله من تأثير مادي أو أدبي ، فإنه كذلك مسئول عن نفسه ووقايتها من الآثام الخاصة والعامة ومسئول عن مملكته الصغيرة التي استرعاه الله إياها « إن الله سائل كل راع

عما استرعاه حفظ أم ضيع) (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . الخ) متفق عليـه .

بل كذلك كل فرد مسئول عن جاره إذا أحاطت به ضائقة أو حدثت له كارثة حتى لا يكون جرثومة شر على المجتمع إذا لم يجد العون منه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم » رواه الطبراني .

أما إذا أهمل الفرد في واجباته هذه كلها أو بعضها في نظير أمل تافه قد يصل إليه وقد لا يصل أو في نظير ثمن بخس ، ألا فليعلم أن ما حصل عليه مهما اعتبرته ظواهر القانون حقاً وملكاً ، إلا أنه في موازين العدل الإلهي سحت اغتصبه ، وظلم انتهبه ، لا يبارك الله له في ذرية أنفق عليها ، وهو مردود عليه ان تصدق به وسيحمله على عاتقه يقابل به مولاه يوم القيامة ليحاكم أمام محكمة العدل الإلهية أمام علام الغيوب (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (. . . ولا يكسب عبد مالاً حراماً فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن . ان الخبيث لا يمحو الخبيث) رواه أحمد .

لا ينفع المقصر في حق أمته ، الممالىء للأعداء في حق شعبه ، ومستقبل بلاده ، المتغاضي عن الفساد يستشري ضرره بين أفراد مجتمعه ولن ينجيه من عذاب الله شفاعة شفيع ولا قرابة قريب فإن الإسلام قد كلف الجميع بالعمل وسد الطريق أمام من يعيشون على عمل الأجداد أو على الآمال الكاذبة من غير عمل جاد (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم .

كما أنه لا حجة لفرد مهما صغرت قيمته في إهمال أو خيانة ، بحجة أن الدعاة للحق وأن العاملين به قلة قليلة ، تذهب أصواتهم بدداً ، وسط هذا

الضجيج الموحش ، كما تذهب الصرخات المنبعثة من جب عميق ، وسط صحراء شاسعة تلفها الأعاصير الهوجاء .

فليصور كل إنسان نفسه مسماراً صغيراً أو (صامولة) صغيرة في وابور كبير أو في باخرة ضخمة ، وقد خرج عن مكانه ، أو توقف عن أداء واجبه . ألا ترى أن القطار قد يحترق وأن الباخرة قد تغرق ، ثم ألست معي في أن خيانة فردٍ أو اهماله قد يكون رأس عود الثقاب ، صغير الحجم لكنه فاحش الضرر ؟

إن حساب الإنسان بين يدي مولاه ، لن يكون قاصراً على ما ظهر من قوله ولا على ما بدا من فعله فقط ، لا بل لا بد من مراعاة الباعث على القول والعمل ، ولا بد من اعتبار الدوافع المستترة في طيات النفس وكوامن الفؤاد « **وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** » (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى) فلا تسع إلى نعمة تعقبها نقمة ولا تتهافت على لذة تعقبها حسرة .

قد يؤثر الفرد أن يعتزل الناس ، وأن يتركهم على ما هم عليه ، وأن ينكر الصلة بينه وبينهم ، ظاناً بذلك أنه أخلى مسئوليته ، وأن عليه نفسه لا يضره من ضل !!! كلا ، إن الدين يكره هؤلاء ، حتى ولو كان اعتزالهم للعبادة ، لأنهم يضعون أنفسهم في نقط استراتيجية لوساوس الشيطان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) .

ويقول (. . ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار) ويقول (. . وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) .

هذا من ناحية الفرد ، أما من ناحية المجتمع ، فهو الذي يحمي الفرد ، ويحنو عليه ويدافع عنه ، ويعز الفرد باعزازه ، ويقوى بقوته ، ويعالجه ان مرض ، ويساعده ان افتقر ، ويرعاه طفلاً ، ويرحمه شيخاً ، ويتضامن معه شاباً ، وما أكرم هذه التوجيهات النبوية الكريمة ، وهي تستل الضغينة من نفوس

المحتاجين ، وتضيء جوانب الكون لتسلط أضواءها على مناطق الضرر ، التي تتوالد فيها أفكار السوء ومذاهب الهدم ، وينبعث منها ما يهز المجتمعات ويشيع فيها روح التمرد على خير القيم . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع إلا برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) رواه أحمد . وما أجمل تعاليم الاسلام ، وعمر بن الخطاب يطبقها وهو أعدى الأعداء لليهود إذ يفرض ليهودي مسن من بيت مال المسلمين ما يكفيه ، لأنه وجده فقيراً مسناً يتوكأ على عصا . وهكذا الاسلام يفرض للأفراد الفقراء والمحتاجين حقاً في مال الأغنياء (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) حق تحارب من أجله الأمة ، وتوجه قواتها الضاربة ، إلى من منع هذا الحق أو وقف في سبيله ، فهو ركن من أركان الإسلام وإذا لم يكف هذا المفروض ، حاجة المحتاجين ، زاده الامام بما يكفيهم (ان الله فرض على أغنياء المسلمين بقدر الذي يسع فقراءهم) رواه الطبراني في الأوسط وإذا لم تتسع أموال الزكاة للوفاء بالمطلوب ، فعلى الدولة من خزانة بيت المال : اعالة المحتاجين والعاجزين يقول الرسول صلوات الله عليه (. . . من مات فترك مالاً فلأهله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ) أخرجه ابن سعد من حديث جابر .

والمجتمع والأفراد متضامنون في محاربة المنكرات ، والضرب على أيدي العابثين بمقدسات الأمة ، ومحاربة المفسدين فيها ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) رواه أحمد ويقول (. . . كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق اطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربنّ الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم ليلعننكم كما لعنهم) يشير الرسول إلى بني اسرائيل رواه أبو داود عن ابن مسعود .

وإذا كانت الأمم كالأفراد ، تمر في أطوار مختلفة ، حتى تصل إلى المستوى المقدر لها ، فتتعثر أحياناً ، وتسير قدماً إلى الأمام أحياناً ، ولا شيء

يضيع استقلالها ، ويمحو لذة النصر فيها : أكثر من تشتيت أفكارها ، وتنازع أفرادها ، فيعيشون كالبهم السائمة ، في فدافد الأرض ، وسط الوحوش الضارية ، لا راعي يجمع شملهم ، ولا مرعى يطيب لهم ، إذا علمنا هذه السنة الكونية فهمنا بعض أسرار قول الرسول (وليضربنّ الله قلوب بعضكم ببعض) .

وإذا كان الإسلام يطلب من كل جماعة اسلامية ، أن تقوم بواجبها ، حفظاً عليها وحرصاً على استقلالها ، فإنه يتشدد في الطلب ، ويبالغ في الانذار إلى كل أمة بدأت ، تهب من غفلتها لأن أي عطب يصيبها ، سيكون مصوباً إلى نحرها ، ويصيب المجتمع الاسلامي كله ، فما الدولة إلا عضو من أعضائه .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يشبه الأمة بركاب سفينة ، تمخر عباب البحر فوق لججه العاتية ، فلا يجوز للركاب أن يتركوا عابثاً يخرقها ، ولو في ملكه الخاص مهما كان حراً فيه ، فإن أي حرية لا بد وأن تكون محدودة بإطار المصلحة العامة وإلا انقلبت فوضى . ثم يأمر الرسول بمنع العابث من عبثه لينجو هو وينجو جميعاً معه وإلاّ هلك الجميع . (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وهكذا عقوبة الله لمن سبقنا من الأمم ، لم تكن لمن كان ظلمه إيجابياً فقط ، بل شملت الظالمين فعلاً ، ومن رضي بالظلم أو سكت عن مقاومته يقول تبارك وتعالى **(فلما نسوا ما ذكروا به ، أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ما كانوا يفسقون) .**

وإذا كانت الأمة تعنى بالماضي وتوليه عنايتها ، لأنه الأساس الذي لا غنى عنه في البناء للحاضر والمستقبل ، وعندنا والحمد لله جامعات تعنى بقديمنا كما أن هنا صفوة ممتازة يعملون جاهدين على تصحيح عقائد المسلمين لئلا ترتكس الأمة ، في ضلالات البدع الدخيلة على الاسلام عن قصد أو جهل ، وحتى لا تنحرف البقية الباقية ، فتسير في الطريق الذي سارت فيه الأمم قبلنا ، ولئلا تهوي في مهاوي المخطط المهيأ لجذب شباب المسلمين لمعاداة دينهم ، والمساعدة في هدمه .

١

كما أن عندنا والحمد لله نخبة صالحة تحيي التراث القديم ، وتبعث الماضي المشرق بحفظها ودراستها لكتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما يتصل بهما من علوم القرآن وعلوم السنة : لتنحية الدخيل الخبيث، والابقاء على الأصل الصحيح .

هذه الفئة قد أدت واجبها وقامت بمسئوليتها ، وعلى من بيدهم شئون المسلمين وشؤون التعليم خاصة ، أن يؤهلوا الشباب للنزول إلى معترك الحياة الجادة ، يزاحمون الأحياء وهم مسلحون بسلاح الإيمان الصحيح ، ليسيروا على هدى السلف الصالح ، الذين انطلقوا من الجزيرة العربية ، ولا علم لهم بفنون الرومان والفرس وعلومهم وصناعاتهم ، فلما وطئت أقدامهم دولاً أنارها الإسلام بفتحه ، وأنقذها من ظلم الحكام بعدله : أخضعوا الحياة الجديدة لأحكام دينهم ، ووجهوها توجيهاً يرضي ربهم ، وأرجو أن يُعَلّم شبابنا كيف لا يغترون بمظاهر الغرب البراقة وكيف يأخذون بأحدث النظريات العلمية الصحيحة في اطار الاسلام . ويطبقونها في بلادهم ولبلادهم بما يتفق وأحكام الشريعة السمحة التي تنحي الضار المحرم وتبقي الحلال النافع .

ولأمرٍ ما أقسم رب الكون ، العليم بشؤون عباده أنه لا فلاح للإنسانية إلاّ إذا آمنت بربها وعملت خيراً وتواصت بالحق وتواصت بالصبر في قوله تعالى **(والعصر إن الانسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .**

قصص لا تنسى

الهارب بدينه

بقلم الشيخ محمد المجذوب
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة

كان تاجر حبوب متوسط الحجم في مدينة (غوستوار) جنوب يوغوسلافية ، وقد عرف بالاستقامة بين عملائه وزبائنه ، وبلغ نشاطه في عمله هذا حداً يتجاوز رأس ماله ، إذ لم يكتف بتصريف ما يرده من نتاج الزراعة المحلي ، بل مد عمله إلى خارج يوغوسلافية ، وبخاصة استورية النمسوية ، إذ كثيراً ما كان يستورد من هناك أنواع الحبوب التي تعوز فلاحي منطقته ولا سيما بعض أصناف الذرة الناجحة . .

وقد أعانته في ذلك مواهبه النفاذة ، فهو شاب حاد الذكاء كثير الفطنة ، لم يكد يخفق في عمل أو صفقة قط . . يضاف إلى ذلك التزامه الحدود الشرعية في معاملته ، بحيث يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة ، فلا يسمح لقرش بالتسلل إلى ماله إلا إذا استوثق من طهارته وبعده عن الشبهة ، وقد ورث هذا المسلك من بيته الذي كان شديد الحرص على الأخلاق الاسلامية ، وتحقيق شعائر الاسلام اليومية في حياة أفراده جميعاً نساء ورجالاً وأطفالاً ، ومن هنا بات موضع الثقة لدى الكثيرين من جيرانه ومعارفه ،

مما دفع بعضهم إلى إيداعه ما يزيد عن حاجته من مال للمتاجرة به على أساس النفع المشترك . .

وعلى الرغم من كثرة هذه المشاغل التي تستهلك معظم أوقات عبد الله هذا لم يكن خالي الذهن من أحداث عصره ، وبخاصة ما يتصل منهـا بأحوال المسلمين ، ليس في يوغوسلافة وحدها بل في سائر بلاد البلقان ومناطق الخلافة ، التي أصبحت محاطة بالخطر من كل جانب منذ كتبت الهزيمة على الجبهة الألمانية وحلفائها في أولى الحربين العالميتين التي أوشكت أن تلتهم الأخضر واليابس من حياة الناس ، وكان من حــظ مسلمي يوغوسلافية وجيرانهم أن يكونوا أكثر أعضاء الجسم الاسلامي احساساً بتلك المخاطر ، إذ بدأت العصبيات الصليبية تتحرك في مواجهتهم ، مزودة بكل أحقاد الماضي التي تصور لأصحابها أن هؤلاء المسلمين ليسوا سوى بقية غزاة احتلوا أرضهم واستولوا على أهلهم بتحويلهم عن النصرانية إلى الاسلام !. . . ولا ريب أنهـا مقدمات رهيبة لمحن لا طاقة للمسلمين بالرد عليها أو الخلاص من شرها ، إذا استمرت الأحداث في طريقها المشهود . . . وكل الدلائل قائمة على أنها مستمرة دون عائق !. . .

وكثيراً ما تتداعى في خيال عبد الله صور المآسي التي طالعته أثناء قراءته تاريخ المسلمين ، فيتذكر الديار التي أخرجوا منها ، والمذابح التي سيقوا إليها ، والاكتساح الهائل الذي تعرض له دينهم تحت مطارق الصليبية ، التي اقتلعت آثار سبعة قرون من حضور الاسلام في الأندلس وصقلية ومالطة و . . . فلا يزيده ذلك إلاّ خوفاً من المستقبل ، واستيقاناً من قرب الجائحة التي تهدد وجود الإسلام في كل هذه الأقطار الواقعة بين ذراعي الوحش الصليبي . . .

ومما يضاعف هواجسه وآلامه ما يلمسه من طلائع الضعف النفسي الذي بدأ يجتاح معنويات المسلمين في أعقاب الهزيمة التي ألمت بدولة الخلافة ، إذ جرف تيار الفوضى الكثير من شبابهم ، فشاركوا غيرهم من الطوائف في التحلل من الالتزامات الخلقية ، وانصرفوا عن مسلك آبائهم في تحقيق شعائر الاسلام من صلاة

وصيام وآداب ، كان لها فيما مضى الأثر الأكبر في صيانة الشخصية الاسلامية من الانهيار والذوبان . . . ولم يكن ذلك شعوره وحده ، بل كان هو القدر المشترك بين أفراد الطبقة المحافظة والواعية من قومه ، لا يكاد أحدهم يجتمع بالآخرين حتى يطارحه الحديث حول هذا الواقــع الذي يشغل بالهم جميعاً ، دون أن يعرفوا مخرجاً منه . .

***

وهبط عبد الله . . من القطار إلى أرض المحطة التي انتهى إليها مــن استورية ، وأخذ سبيله إلى سوق الحبوب ، التي ألفت قدماه دخولها كلما وفد إلى هذا البلد ، ولم يصرفه عن الحانوت الذي يقصد إليه ما في رأســه من تلك الأفكار التي لا تكاد تفارقه لحظة . .

واستقبله عميله الاستوري بما عوده من حفاوة واكرام ، وأراد الزيادة في تكرمته فهمس في اذن العامل الذي لم يغب إلاّ قليلاً حتى أتاه بما أراد له صاحبه من شراب رائق الصفرة ، شهي البرودة ، بارز الرغوة . . . وقال الخواجه الأستوري وهو يشير إلى الكأس الأنيقة : هذا خير ما تلطف به حرارة الجو يا صديقي . . . ورد عبد الله : حقاً إن الجو حار . . ولكن لا أستطيع أن أتناول من الشراب ما لم أعتده . . فما هذا ؟ . . قال الخواجه : إنه كأس من الجعة . . الجعة الصحية المستخرجة من الشعير . .

ـ الجعة ! . . ولكن هذه خمر . . وهي علينا نحن المسلمين حرام . .

وتدفقت هذه العبارة من لسان عبد الله في لهجة الاعتزاز والتصميم دون أن يتعمد ذلك ، وكأنها محاولة لاثبات التميز الذي يحتفظ به كمسلم . . ولا يستطيع مفارقته مهما تختلف الظروف . .

وضحك الخواجه الاستوري ثم أجاب : قد كنت أحسب الأمور قد تغيرت عندكم . . ولكن . . لا بأس . . كل شيء سيتغير شئنا أو أبينا . . والتفت إلى العامل يأمره أن يأتيه بكأس من عصير الفاكهة المبرّد . .

وانسربت من عبد الله نظرة إلى ما فوق رأس التاجر النمسوي . . فإذا عيناه مشدودتان إلى قِمَطْرٍ من الحرير قد عُلق بأناقة في صدر المكتب ،

وبدا كأن فيه كتاباً عزيزاً على صاحبه. وتفاعلت في صدره الاشكالات فلم يتمالك أن سأله في أدب كثير : وما هذا الذيأراه فوق رأسك ؟ . .

ومع ابتسامة معبرة أجاب : إنه المصحف . . المصحف الشريف . .

– المصحف ! . . أطلق هـذه الكلمة وهو يرمق صاحبه بعينيـه السوداوين المهيبتـين المشحونتـين عَجَباً . . وقد تشنجت أعصاب جبهته العريضة حاملة أشتات التعابير . .

– أجل . . المصحف الشريف . . وهل يُستغرب ذلك ؟

– طبعاً . . لأنه كتاب المسلمين ، وما أظنك تعرف منه شيئاً . . أو تستفيد منه بشيء ! . فخفض التاجر النمسوي بصره قليلاً ثم قال : هو كما قلت يا صديقي . . ولكني مع ذلك حريص عليه . .

ولم يجد عبد الله في الجواب ما يقنعه فقال : ألا ترى أني أحق منك به ؟ . . فلو بعتنيه لكنت لك من الشاكرين . .

وفي غير تردد أجاب : ليس هو كيساً من الذرة فأبيعكه يا صديقي . . إن له في نفسي لذكريات لا أريد نسيانها ، وهي سبب حرصي عليه .

وكأن عبد الله قد وجد في هذا الكلام ما أثار فضوله لمعرفة ما وراءه، فألح على صاحبه أن يوضح ما أبهم . . فقال : لو لم تسألني ذلك لذكرته لك إن هذا المصحف هو الشيء الوحيد الذي بقي لنا من آثار جدي الذي كان أستورياً مسلماً ، وقد ورثه عنه والدي الذي نسي دين أبيه واعتنق النصرانية ، وعليها أنشأنا . . فأنا أحتفظ به إذن أثراً تاريخياً يربط بين ماضي أسرتنا وحاضرها . . أليست هـذه بذكريات عزيزة تستحـق الاحترام أيها الصديق ؟!.. وهل مثل هـذا الأثـر مما يصح أن يبـاع أو يهدى ! !..

وأحس عبد الله باحتباس لسانه ، فلم يستطع أن يجيب بنعم أو لا . . لأنه شغل عن ذلك كله بما أثارت كلمات الرجل من خوالج في أعماقه لا يستطيع لها تحديداً . . وفي غمرة من الأسى الممتزج بالخوف وجد نفسه يتمتم في نفسه : إذن فأنا مرشح تماماً لمثل هذا المصير !..

***

وأخذ حانوت عبد الله يتعرّى من

محتوياته يوماً فيوماً ، حتى أوشك أن يقفر من كل السلع التي اعتاد أن يحتويها . . وقد بدأ هذا الانقلاب فيه منذ عودته من أستورية إذ جعل يبيع الشيء ثم لا يأتي له ببديل . . وشرع في تصفية حسابه مع شركائه وزبائنه دون أن يخبر أحداً بما يريد . . إلا أنه لم يستطع كتمان نواياه عن أخيه ، وعن بعض الشيوخ الذين تلقى عليهم بعض ما يعلمه من أمور دينه ، إذ دعاهم إلى بيته ذات يوم بُعَيد صلاة العشاء ، ثم أطلعهم على السر الذي أقلق باله وزلزل أعصابه وشحن صدره بالخوف على بنيه . . وأعلن لهم تصميمه على الهجرة إلى استامبول حيث ينقطع لطلب العلم على علمائها حتى يقضي الله أمره فيه . . ولم يجد من مستشاريه أية معارضة ، فهم لا يقلون عنه قلقاً ، وقد زادتهم قصة مصحف الأستوري تشاؤماً من المستقبل ، وتمنوا لو أنهم يستطيعون مرافقته في هذه الهجرة !..

وما هي إلاّ أيام حتى غادر عبد الله مسقط رأسه متجهاً بالقطار إلى دولة الخلافة المهزوزة ، ثم لم يستقر له مقام حتى انتهى إلى البلد الذي أراده . .

وفي استامبول استأجر غرفة متواضعة في حي قديم ، ومضى يتفقد حلقات العلماء في مختلف جوامعها ، حتى اطمأن قلبه إلى عدد من هؤلاء ، فلازم حلقاتهم ، يقضي بعض يومه على مدرّس الفقه ، وبعضه على مدرس الحديث ، وبعد العصر على أحد المُقرئين المجوّدين للقرآن . . ولم يُغفل أمر معيشته فالتحق بأحد مصانع التسوية يستأنف فيه ما سبق أن تعلمه في بلده قبل أن يمارس عمل التجارة ، ولكنه لا يهب له من وقته إلا ما يكفي لسد حاجته ، كيلا يضطر إلى إنفاق ما في يده ، فيصبح كلاً على الناس ، وذلك ما لا يتفق مع أخلاقه التي شب عليها . . وبدافع من نشاطه الذهني المتوقد أبداً كان كثير التتبع لأحداث البلاد ، وملاحظة التطورات التي تمر بها دولة الخلافة في أعقاب الهزيمة . . ولعل أشد ما كان يؤلمه منها ذلك الاتجاه المعادي للإسلام ، الذي تمثله عناصر المتفرنجين من الشباب العثماني مدفوعة — كما يقول شيوخه — بالأيدي الخفية التي تختبىء في أوساط الدولة — اليهود المتظاهرين بالإسلام — !..

وكانت الأحداث تتابع على عجل

وبصورة لا تدع مجالاً لأية معارضة، كأنما وراءها تخطيط شيطاني قصد به شل كل حركة اسلامية قبل بروزها إلى ميدان المواجهة . . حتى الاعتداءات الوحشية ، التي قام بها متعصبة اليونان عـلى العزل الآمنين في سالونيك وأخواتها ، لم تكن في نظر هؤلاء الشيوخ إلا حلقة من سلسلة المؤامرة الكبرى على الاسلام نفسه ، دفعتهم إليها الأيدي الخفية نفسها ، ثم دفعت مصطفى كمال للرد عليهم — بعـد تربص — لتوهم المسلمين أن هؤلاء وحدهم هم المنقذون الحقيقيـون للشعب العثماني ، وبذلك يؤمنون لأنفسهم الممر المنشود لتحطيم الخلافة ومـا تقوم عليه من بقايا الصرح الاسلامي ! . .

وسرعان ما تحققت مخاوف هؤلاء العلماء . . فإذا الكماليون يهاجمون أعضاء المجلس الوطني ، الذي أبوا عقده إلا في أنقرة بعيداً عن سلطة الخلافة ، فينشرون عليه سحابة رهيبة من الهول والرعب ، ويكرهون كل معارض لهم على السكوت أو الاختفاء ثم لم تلبث الخلافة أن تصدعت أركانها وانتهى أمرها إلى الغاية التي أرادها أعداء الاسلام من الانجليز واليهود والملاحدة . . ثم جاء دور القتلة لتصفية أعدائهم بكل الوسائل الممكنة ، حتى خلا لهم الجو ، وراحوا يقوضون كل ما تركه السلف المجاهد من آثار العظمة ، ليستبدلوا به كل ما من شأنه تقطيع أوصال المسلمين ، واخراج الشعب التركي من حظيرة الدين . وكانت قمة الكارثة تلك المذبحة الوحشية التي أنزلتها قوى الالحاد في علماء الاسلام ، يوم فرضت عليهم ارتداء القبعة وحلق اللحى ، وألزمت المرأة المسلمة أن تنخلع من كيانها الاسلامي بقوة الحديد والنار . . فاعتبرت تلكؤهم في تنفيذ أوامرها الشيطانية تمرداً على سلطانها ، فشنقت العديد منهم على أبواب بيوتهم ، لتقضي على كل تفكير في الاعتراض أو الانكار ! . .

وهناك أدرك الفتى المقدوني (١) أن استامبول لم تعد مقراً صالحاً لمثله ، وألاّ بد له من استئناف الهجرة إلى سواها من أرض الله . . وهكذا قُدّر عليه أن يغادرها بعد خمس سنوات

---

(١) غوستوار من مقدونية .

ذاق فيها المفارقات الكثيرة من الخوف والأمن ، وشهد خلالها نهاية الدولة التي حَمَت الاسلام وقاومت مئات الملايين من أعدائه ، طوال خمسة قرون ، فلم تزل ثابتة صامدة ، حتى سُلطت عليها هذه العصائب من أبنائها فنسفت قواعدها خلال هذه السنوات القليلة ! . .

★★★

لم يتردد عبد الله طويلاً في اختيار مهجره الجديد ، إذ لم يرَ أقرب إلى أفكاره من مصر بلد الأزهر الشريف ، والملاذ الأخير الذي يتطلع إليه المسلمون ويستمدون من أشعته ، فيقدم إليهم بذلك تعويضاً ولو رمزياً عن فقدانهم للخلافة التي استمرت تمثل وحدة العالم الاسلامي طوال ثلاثة عشر قرناً ونيفاً . .

وكما فعل في استامبول من قبل اتخذ لنفسه مسكناً متواضعاً على مقربة من الجامع الأزهر ، ولبث ما يقارب العام يتردد على حلقات الدروس يغذي معلوماته في التفسير والحديث ، ويروض سمعه ولسانه على النطق العربي . . ولكنه سرعان ما ضاق صدراً بمهجره الثاني إذ لاحظ أنه لم يكد ينتقل من جو الحياة الشاذة في ظل الكماليين ، لأن المعركة نفسها قد امتدت إلى الأزهر وما حوله ، وإلى الصحف المصرية المختلفة المتضاربة ، حتى أن العدوان الكمالي على الخلافة قد وجد في هذه الأوساط أنصاراً من أصحاب العمائم ، يؤيدونه ويباركونه ويدافعون عنه ، ويؤلفون في تسفيه الخلافة الشهيدة الكتب والمقالات . . محاولين اقناع قرائهم بأنها لم تكن قط مصدر خير للمسلمين ، بل لم تكن إلا مبعث الشقاق وملتقى الفتن والمحن عليهم أجمعين . وعلى الرغم من أن الحق لم يعدم أنصاره بإزاء أولئك المضلّلين ، إذ كان على رأس الفريق المؤمن أبطال ذوو علم ومنطق وإخلاص ، يردون الكذب بالصدق ، ويقذفون بالحق على الباطل. على الرغم من كل ذلك فقد آذى قلب هذا الهارب بدينه أن يرى في بلد الأزهر من تدفعه القحة إلى حد الوقوف بجانب قتلة الاسلام ، الذين لا تزال مخالبهم تقطر من دمائه ! . . ولم يلبث إلا ريثما تيسر له السفر إلى البيت الحرام لأداء فريضة الحج . . ومن ثم إلى طيبة المباركة لزيارة مسجدها الحبيب . . وما أسرع أن أنس بالمقام

إذ احتواه شعور غريب برَوْح مـن حياة جديدة لا يعرف كيف يعبّر عنه ولا يستطيع تحديد مصادره . . فقد كان يخيل إليه أن لكل ذرة من هذا التراب الذي يطوءه في ذلك البلد إيحاءً خاصاً ، ولكل هبة من نسيمه ، حتى المحمّل بالغبار في الكثير من الأحيان ، لذة بهيجة . وكان للمسجد النبوي سلطانه العميق على مشاعره ، فلا يكاد يفارقه إلاّ لضرورة قاهرة . . وقلما يستطيع التغلب على دموعه كلما وجد نفسه في تلك الروضة المباركة ، وعلى مقربة من الضريح الذي نزله أحب البشر إلى قلبه . . ولم يلبث أن صار واحداً من طلاب العلم الوافدين مثله من أنحاء العالم على تلك الحلقات التي أحس بملء جوارحه أنها لا تقدم إليه المعرفة وحدها بل المعاني الروحية التي لم يحس بمثلها قط قبل اندماجه في هذه الحلقـات . .

وذات يوم وبينما هو خارج من صلاة الجمعة يخوض غمار البشر الصادرين مثله من ذلك المورد العزيز ، لاحظ توقف الكثيرين منهم في رحبة باب السلام ، وقد اتجهوا إلى نقطة معينة من وسطها ، وأطل الناس من بيوتهم المجاورة يحدقون إليها . . فلم يتمالك أن يتقدم ليستطلع الخبر . . وإذا هناك كوكبة من الجند يتوسطهم رجل مربوط العينين ، وقد وقف إلى جانبه قاضي المدينة يتلو صورة القرار الذي أصدرته المحكمة الشرعية على السارق بقطع كفه ، تنفيذاً لحدود الله !

ولم يرَ الحاج عبد الله هناك ضرورة للبقاء من أجل مشاهدة التنفيذ ، فمضى في طريقه يكاد يطير من نشوة السعادة. وهو يردد : إذن فالإسلام هو الذي يحكم الناس هنا ! . . وإذن فهنا المقام . . وهنا المستقر إن شاء الله ! . .

وخلا الحاج في حجرته المغفية تحت مستوى سطح الأرض ، يفكر في واقعه وأهله ويتركز ذهنه بوجه أخص على والدته العجوز التي بات أشد ما يكون لهفة إليها ، على الرغم من يقينه التام بأن أخاه لن يغفل برها أبداً ، فيطغى حنينه إليها على حنينه إلى زوجه وأطفاله الذين أودعهم رعاية الله وحده ، وان يكن قد زودهم بما يؤمن لهم حاجتهم إلى سنوات أخرى .

ويستقر عزمه على استقدامهم إلى المدينة مهما كلفه ذلك من جهد ومال . ويكتب إلى والدته يصف لها حياته

وآماله ، ويستحثها لحزم أمرها على الحضور إلى بلد الرسول ، وقد فوض إليها أن تتصرف ببيته وأثاثه فتبيع كل شيء ، وتحضر مع أحفادها وأمهم إليه . . وينتظر الجواب في أرق وقلق ، ولكن الجواب لم يحمل إليه ما يريد ، بل ما تريده أمه وآله من حضوره هو إليهم ! . .

وتتردد الرسائل بينه وبينهم دون جدوى ، إذ لم يتزحزح أحدهم عن موقفه قط . . ولم يرَ أن يسترسل مع عواطفه فذهب إلى أحد شيوخه يستشيره في أمره ، فكان الجواب أنه لا بدّ له من طاعة والدته والشخوص إليها بأسرع ما يمكنه ، وإلا فهو أسير ذنب ورهين معصية . . وبإزاء ذلك لم يسعه إلاّ أن يقتلع نفسه من تربة المدينة الحبيبة ، ليعود إلى البلد الذي ما كان يتوقع أن يعود إليه يوماً ما . .

واتخذ سبيله عن طريق العراق فالشام فتركية . . ولاحظ أثناء عبوره ما أكد له أن محنة الاسلام هي هي في كل مكان « الانحراف إلى الحياة الغربية ، والانصراف عن جادة الوحي الذي — في اعتقاده — لا عاصم سواه من الانهيار ، ولما وصل مسقط رأسه من الجنوب اليوغوسلافي ، كان مشحون الصدر بالنفرة من كل بلد إلاّ مدينة الرسول . . ولذلك وقف جهده — منذ حاوله بين أهله — على مفاوضة والدته في أمر الهجرة ، وجعل يزين لها النقلة إليها ، والحياة فيها ، والموت بين ذراعيها ، حيث يتاح للمؤمن قبر كريم بجوار الصفوة الذين رباهم رسول الله على تعاليم السماء ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس . . وتتردد العجوز بين روابط الوطن ونوازع الايمان . . حتى استحوذت عليها صورة البلد المفضّل ، فأعلنت موافقتها ، وبذلك انفسح الطريق للهجرة المنشودة . . وكان مشهداً مؤثراً عندما تزاحم ذوو قرابته يلحون عليه بمشاركتهم في هذه الرحلة ، لأنهم — كما يعلنون — مثله متلهفون لجوار رسول الله ، وخائفون على دينهم من السموم التي تجتاح مَن حولهم . . وكان أشد هذا المشهد تأثيراً منظر ذلك الشاب الذي غرق في دموعه وهو يستحلف القوم بالله ألاّ يدعوه وراءهم كالقمامة المنبوذة . . وراح يقسم بأغلظ الأيمان أنه تارك للخمر والمقامرة منذ الآن ، وأنه لن يسيء

إلى موطن الرسول بأي شذوذعهدوه منــه ! . .

ورق قلب الحاج عبد الله لذوي أرحامه فصمم على مشاطرتهم حظه ، ورحم دموع ذلك الفتى الذي يغسل بها بواقي آثامه . . وما هي سوى أشهر معدودة حتى شرعوا يتسللون زرافات ووحداناً إلى موضع اتفقوا على التجمع فيه خارج يوغوسلافية ، فلما استكملوا عدتهم خمس عشرة نفساً أخذوا سبيلهم بقيادة الرجل إلى مدينة جدة . . التي حطوا فيها رحالهم في الأول من ذي العقدة عام خمسة وخمسين بعد القرن الثالث عشر من الهجرة . .

على أن الرجل الذي وضع لكل شيء حسابه في هذه المسيرة الطويلة ، وجد نفسه فجأة تلقاء عقبات لم تعرض لتفكيره قط . . تلك هي الحدود الجديدة التي نصبتها التطورات التي أعقبت سقوط الخلافة بين ديــار المسلمين ، فمزقت الأمة أمماً ، وحالت بين أجزاء الأسرة الواحدة ، التي توزعتها الأقطار ، فلا سبيل إلى تلافيها إلا بعد اجتياز الأكداس من المصاعب ، والأكثر من المتاعب .

فبعد أن كان من حق المسلم التجول حيث شاء من عالم الاسلام دون ما حاجة إلى وثيقة سوى هويته الدينية ، إذا هو اليوم تلقاء حواجز يحرم على المسلم تعديها إلا بجواز مرور !! . .

وجاءت أولى هذه العقبات في صورة رسوم مالية تقتضيهم أن يدفعوا عشرة جنيهات عن كل فرد . . ثم مشكلة الاقامة التي لا سبيل إليها إلا بمعجزة من وراء المنظور ! . .

وطالت حيرة القافلة ، وطال انتظارها للفرج الذي لا تدري من أين سيطل وجهه . . وكاد ينقطع كل أمل من جهة الدوائر المختصة التي لا تستطيع تجاوز الأنظمة . . ووجد القوم بعض الاهتمام من مهاجرين على شاكلتهم ، جربوا هذه العقبات من قبل وعرفوا الطريق إلى تذليلها وذات يوم جاء أحد هؤلاء البُخاريين يشد على يد الحاج عبد الله قائلاً « أبشر بالفرج ».

وكاد قلب الحاج يطير فرحاً بتأثير هذه الكلمة ، وبلهفة سأله عما يعني ، فقال الرجل : إن الملك عبد العزيز سيهبط جدة ظهر غد . . فما عليك إلا أن تحشد جماعتك على مدخل قصره ، وتعد العريضة التي تشرح

وضعكم وفراركم بدينكم .. وثق بأن كل عقبة ستزول بمجرد وصول العريضة إلى يديه ، وتعرضكم لعينيه ،

ولم يجد الحاج عبد الله مسوغاً للتردد بإزاء هذا الرأي الحكيم .. وفي الوقت المناسب زحف بقافلته إلى مدخل القصر الملكي ، ثم ما هي إلاّ سويعات حتى وصل الموكب ، تتقدمه سيارة الملك .. ولاحظ الحاج عبد الله نظر الملك وهو يجيله في القوم فاستبشر خيراً ، وصح توقعه فإذا أحد المرافقين يعود إلى الباب ليستوضحهم عما يريدون ، فلم يرَ ضرورة للكلام ، وقدم إلى السائل العريضة التي أودعها كل ما يريد .. وما أسرع ما وافاهم الخبر ، إذ لم يغب المرافق إلاّ مدى الطريق حتى عاد إليهم بالأمر الملكي الذي يمنحهم حق الاقامة ويعفيهم من كل كلفة مالية ! ..

***

وبدأت القافلة السعيدة حياتها الجديدة بالعمرة ، ومن ثم اتجهت إلى مدينة الحبيب فاستأجرت سكنها المتواضع .. ولبثت بانتظار موسم الحج ، حتى إذا أدوا مناسكهم عادوا إلى وطنهم الروحي يتدبرون أمرهم على أساس الاقامة الدائمة . وكان عليهم أن يصبروا بعض الوقت على شظف العيش ، فيجتزئوا باليسير الرخيص مما يقيم الأود وقد يسر الله لكل قادر منهم العمل الذي يكفه عن الحاجة .. وقيض لهم من يساعدهم في تلك المرحلة ، من أمثالهم الذين سبقوهم إلى هذا المهجر ، الذي اليه تهفو الأفئدة من أقاصي العالم الإسلامي وما هي إلا بضع سنوات حتى انفرج ضيقهم ، ودرّ رزقهم ، وجاءتهم رحمة الله بالهوية السعودية من حيث لم يكونوا يحتسبون ! ..

ويلج الحاج عبد الله بالأمس عتبة الثمانين .. وينتشر من حوله أقرباؤه وأبناؤه وأحفاده الذين طالما تطلع إليهم من وراء الغيب ، فكانت أخيلتهم وخشيته على دينهم السبب الأكبر في هجراته ، التي استقرت في هذا البلد المبارك منذ ما يقارب الأربعين من السنين ..

لقد نجاه الله بفضله من جحيم

الضلالات الهدامة ، التي جرفت الكثرة من أجيال بلاده في ظـــل الشيوعية الدموية .. ولكن .. هـل استطاع مع ذلك أن يصون أبناءه أو بعضهم من سمومها حتى في مهبط الوحي !.. وهل استطاع أن يحفظ عليهم الدين الذي تحمل في سبيله كل ذلك البلاء المبين !..

ويتخيل أحياناً واقعه وماضيه فيتلو على نفسه في خشوع عميق قول الله عن لسان يوسف الصديق : **(رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطـــر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ..)**



وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

للشيخ حسن السيد متولي
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة

قال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف . وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وجه مناسبة الآية الأولى لما قبلها : أنه سبحانه وتعالى لما بيّن للمؤمنين ما تقوم به الجماعة المؤمنة : من إيمان بالله يصاحب المؤمن إلى آخر حياته . ومن اعتصام بحبل الله . وهو كتابه الكريم . ومن أخوة بين المؤمنين تربطهم برباط الايمان .

بيّن بهذه الآية الهدف الذي تسعى إليه الجماعة الإسلامية وتعمل على تحقيقه ويكون وظيفة لها تصون به المجتمع الاسلامي من عوامل التحلل والانحراف وتقوده إلى ما فيه الخير والفلاح فقال سبحانه وتعالى **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير)** أمر سبحانه أن تكون هناك جماعة من المسلمين تقوم بالدعوة إلى الخير إلى دين الله والأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . (ومِنْ) في الآية للتبعيض لأن الجماعة المأمورة هي المستطيعة لأداء ما كلفت به ولا تكون إلا من العلماء الدارسين لكتاب الله وسنة رسوله وهم بعض الأمة

(**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) وهذا من عطف الخاص على العام لأن قوام الدعوة إلى الله وحفظها إنما يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بيّن سبحانه أن الأمة الإسلامية إذا قامت بهذا التكليف كان جزاؤها الفلاح في الدنيا والآخرة (**وأولئك هم المفلحون**) ثم حذر الله سبحانه وتعالى من التفرق والاختلاف بعد وضوح آيات الله ونصوص شريعته لأن هذا يجرهم إلى ضياع ما أعد لهم من الفلاح وانخراطهم في سلك من عذبوا بسبب تفرقهم وتركهم ما كلفوا به فقال (**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**) في دنياهم وأخراهم .

فحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الأمة جميعها وإذا لم يقم به أحد أثمت الأمة بتمامها .

وكل فرد مكلف بأن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر كما يأمر غيره وينهاه وإهماله نفسه لا يرفع عنه التكليف بالنسبة لغيره .

وهناك أمور من الشريعة معلومة لجميع الناس مثل وجوب الصلاة والزكاة والصيام وحرمة القتل والزنا والسرقة وشرب الخمر فمثل هذه الأمور التكليف فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شامل لجميع الناس وما عداها مختص بأولي العلم والمعرفة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ناحيتان : ناحية عامة ، وناحية خاصة . أما الناحية العامة فالمطلوب فيها العمل على قدر الاستطاعة في حدود قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه) فتغيير المنكر واجب على كل فرد بما يراه ميسوراً له إما بالأسهل كالكلام أو بالأشد كالمنع باليد إذا لم يترتب على استعمال القوة إثارة عصبية ينتج عنها فتنة ومقاتلة وعليه في هذه الحال الانتقال إلى الانكار باللسان وطلب الكف عن المنكر وإلاّ فلينكر بقلبه وإلا كان شريكاً له في الاثـــم .

وهذا التكليف لا يتعدى مرتبة الوعـــظ والإرشاد وتحاشي الضرر والفتنة وليس قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم**

من ضل إذا اهتديتم). ليس معارضاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه لا تتحقق الهداية إلا بالقيـــام بالواجبات ومنها الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا فعلوا فقد بلغوا ولا يضرهم بعد هذا من لم يهتد لأن الهداية من شئون الله سبحانه وتعالى كما قال لرسوله **(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)**

أما الناحية الخاصة وهي ما تشير إليها الآية الكريمة في قوله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** فالمقصود هنا أن الله يأمر بقيام جماعة من العلماء مؤيدة بسلطان بحيث تأمر فتطاع وتنكر فتنفذ حدود الله على من ارتكب منكراً وتتولى إعداد الدعاة بالتعليم لتكون سلسلة هذه الجماعة متصلة الحلقات إلى قيام الساعة تحقيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) .

والقيام بأمر الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس هيناً ولا يسيراً لما يصطدم به مـــن شهوات الناس ومصالحهم . وغرورهم وكبريائهم وفيهم الظالم المفتري والحاكم المتسلط . والمنحل . والمنحرف . لهذا كان تكليف الله به عظيماً يحتاج من الأمة المسلمة أن تهيىء له جماعة تتمكن بسلطانها من أن تدفع عن الجماعة المسلمة كل ما تتعرض له في دينها وأخلاقها ومعاملاتها مما يتنافى مع الشريعة وتقاوم كل ظالم ومتسلط ومنحرف .

أما إن كانت مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منحصرة في حدود وعظ وإرشاد فقد تعرضت الأمة للإنهيار وقد شاهدنا في أغلب دول المسلمين أنها اكتفت في أمر هذا التكليف بالوعظ والإرشاد وكـــان من نتيجة إهمال الحدود انحراف البسطاء وتسلط الأقوياء الظالمين حتى أصبح الدين الاسلامي مجرد طقوس يقوم بها بعض الضعفاء .

ولهذا ولما نراه في عصرنا ونشاهده مما أحاط بالمجتمعات الاسلامية من كيد أعدائها حتى سلب منها مقوماتها الإسلامية وأصبحت أشباحاً لا روح فيها ولا قوة لها يحركها أعداؤها كما يشاءون .

كان لا بد من أن يستجاب أمر الله في هذه الآية بإقامة جماعة ذات سلطان قوي في كل دولة مسلمة ولها مندوبون في كل مدينة وقرية تأمر فتطاع وتنهى عن المنكر وتنفذ حدود الله على من ارتكبوا المنكرات .

وبدون تنفيذ حدود الله . القتل للقاتل . والرجم للزاني المحصن . وقطع يد السارق والجلد والسجن والتعزير لكل من ارتكب موجب ذلك .

لأن قيام هذه الجماعة هو لحماية المسلمين من أن تغتالهم شياطين الإنس والجن ولتصون التقاليد الإسلامية والتعاليم الشرعية عند المسلمين فيستقر الخير والعدل في حياة الأمة وينعدم الشر والظلم فيها وتسد الطريق على كل صاحب هوى أو شهوة أو مصلحة يدعي أنه يعرف الخير والصواب .

إن قيام هذه الجماعة ضرروي لفلاح الأمة وصلاحها . ألم يكن المعروف فيه الخير والفضيلة والحق والعدل . والمنكر فيه الشر والرذيلة والباطل والظلم . فأي المجتمعين أفضل وأنفع في الحياة الدنيا والآخرة .

مجتمع الخير والفضيلة والحق والعدل أم مجتمع الشر والرذيلة والباطل والظلم وهل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور .

لقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً في الأمم المتقدمة ولما أهملوا أمر الله ذَلُّوا ولُعنوا على لسان أنبياء الله ورسله كما قال تعالى : **(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .**

وقد أهملت هذه القاعدة التي وضعها الله تعالى للمسلمين وهي قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى حكمت أغلب الدول بغير ما أنزل الله . وتسلط عليها سفاؤهـا وجَدّوا في إضلالها فعاقبهم الله بالضعف والذل وتسلط عدوهم عليهم

إن المجتمع الإسلامي لا ينهض إلا بإقامة شرع الله في أرضه وتحقيق الخير وسط هذا المجتمع وإزالة الشر منه وبهذا ينمو فيه الخير ويسود

وينتفي فيه الشر ويزول لأن عمل الخير يجد من المساعدة ما ينميه فهو في بيئة خيرة وأما الشر فلا يستطيع الظهور وسط هذا المجتمع لأن كل ما حوله يعارضه ويمقته ولو فرض وكان للشر أعوان فإن جماعة المسلمين الآمرة الناهية تعارض الشر وأهله فيبوء بالفشل لأنه لم يجد البيئة الصالحة لنموه .

فأخص صفات المؤمنين هي صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي ميزتهم قال تعالى : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** .

وبهذه الصفة كانت الأمة الاسلامية خليفة الله في أرضه وقد قلدها الله سبحانه وتعالى وسام الخير وفضلها على العالمين فقال : **(كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** .

وهي المعنية بقوله تعالى : **(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)** .

وإذاً فهي الأمة التي أخرجها الله لقيادة العالم للخير . أمة عاملة تتقدم العالم في مناحي الحياة في منهاج إسلامي كله خير وبركة على العالمين تقود البشرية لصالح حياتها فتشعر الإنسانية برحمة الرسالة المحمدية لأن هذه الأمة :

١ ـ تقوم على حراسة الحياة من الشر والفساد .

٢ ـ تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حدود الشريعة المحمدية في الأرض .

٣ ـ تحرص على الخير وتعارض الشر وتصون المجتمع من عوامل الفساد .

٤ ـ تؤمن بالله ورسله وتفهم كتاب الله وسنة رسوله فتعرف الموازين الصحيحة للقيم وتدرك المعروف والمنكر إدراكاً صحيحاً كما أتى به الوحي .

٥ ـ يقوى عندها الباعث على الخير من سلطان الله في الضمائر . ومن سلطان الشريعة في المجتمع .

٦ ـ يكون زاد هذه الأمة التي تحملت تبعة الدعوة إلى الله في المجتمع زادها الإيمان وكل زاد سواه ينفذ

وعُدّتُها الإيمان وكل عُدّة سواه تُفَل . وسندها الله وكل سندٍ غير سند الله ينهار .

وبهذا يُصان المجتمع الإسلامي من كل عوامل الهدم والفساد ويصبح مجتمعاً مشرقاً بنور الإيمان فيكون في نظامه وسلوكه أعظم دعوة لدين الله في هذا العالم . لأنه قد تحصن من داخله بما وضعه الله من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن لا بدّ من تأمين هذا المجتمع من أعدائه خارج حدوده . أمم الكفر وفي مقدمتهم اليهود وقد كلف الله المسلمين بإقامة القاعدة التي تحمي الجماعة الإسلامية وتصون حدود وطنها وتفتح الطريق للدعوة فيما وراء الحدود فقال جل شأنه :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) .

فمن ضرورات الحياة للمسلمين الإعداد للجهاد بقدر الاستطاعة .

لجميع أدوات الحرب وخصوصاً أقوى الأسلحة في حماية الحدود ورد العدوان والهجوم إن احتاج الأمر إليه ولهذا خص الله في الإعداد **(رباط الخيل)** لأنه كان أقوى الأسلحة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . أقواها على الدفاع والهجوم وأمر الله للمسلمين دائم في جميع الأزمنة بإعداد ما يناسب كل زمان من عدة الحرب .

فلا بدّ للإسلام من قوة ينتشر بها في الأرض لتحرير الإنسان في عقيدته ونشر رحمة الله بين العالمين وأهداف هذه القوة ما يأتي :

١ ـ تأمين من يختار هذا الدين على عقيدته وضمان حرية الاختيار والعمل فلا يصد عن العقيدة ولا يفتن بعد إسلامه .

٢ ـ إرهاب أعداء الدين من عرفناهم ومن لم نعرفهم فلا يفكرون في الاعتداء على دار الإسلام .

٣ ـ أن يبلغ الخوف من قوة المسلمين الحد الذي يجعل أعداء الدعوة لا يفكرون في معارضتها ولما كان هذا الإعداد يحتاج إلى المال الكثير أمر الله المسلمين بالإنفاق في سبيله

ووعدهم خير الجزاء على ما ينفقون .

والهدف العام من هذا الإعداد أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله فليس إعداداً من أجل استغلال الشعوب وفتح الأسواق التجارية كما يظهر في أسلوب الدول الرأسمالية ولا لِفَرْض مذهب بشري من صنع لئيم كالشيوعية ولا لتقرير سلطان أمة على أخرى أو جنس على جنس . إنما هو إعداد لله وفي سبيل الله وللخير وفي سبيل الخير للعالمين لتسود ألوهية الله وتعلو كلمته وينال الناس رحمة الرسالة العامة كما قال تعالى : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** .

ولا خلاص للمسلمين إلاّ بتنفيذ أوامر الله تعالى في إقامة هاتين القاعدتين العظيمتين لحماية المسلمين داخل بلادهم وخارج حدودهم . وهما قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تقيم حدود الله وتنفذ شريعته ، وقاعدة إعداد العدة للجهاد في سبيل الله .

ولا يَقْعُدُ بالمسلمين عن المسارعة إلى إجابة ربهم ما عليه عدوهم من قوة لا يمكن الآن الإعداد مثلها فيعيشون بجانب أعدائهم أذلاء يستجدونهم الكف عنهم فهيهات هيهات أن يكف عدوك عنك بعد أن بلغ أمنيته من التمكن منك ونحن نلمس واقعنا الأليم الذي سببه الإهمال في الاستجابة لرب العالمين . فسارعوا أيها المؤمنون إلى استجابة النداء واذكروا أن الله لم يكلفكم في الإعداد لعدوكم إلا بقدر ما تستطيعون وهو ناصركم وما النصر إلا من عند الله .

ولا يقف في طريقه القوى المادية مهما بلغت ولهذا نبه الله المؤمنين بقوله : **(ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) وقال : (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا يُنصرون)** .

لقد بيّن الله للمؤمنين طريقهم في الحياة . بيّن لهم القواعد التي تحميهم من شر أعدائهم ووعدهم النصر إن سلكوا طريقه . والشر محيط بهم من كل جانب ولا نجاة إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله عقيدة وعملاً ودعوة وجهاداً في سبيله حسب ما شرعه سبحانه :

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) .

لمحات في منهج البحث الموضوعي

بقلم الأستاذ : عبد الله عبد الرحيم عسيلان
المدرس بالمعهد العلمي بالمدينة

١ – تمهيد :

البحث الموضوعي محاولة جادة لصياغة جانب من جوانب المعرفة في قالب متكامل من حيث التحقيق والتدقيق والاستقصاء ، وعرض القضايا ، ومناقشتها بالدليل القاطع والبرهان الناصع ، ونحن في أمس الحاجة إلى البحث بهذا المفهوم ، ولا سيما في هذا العصر الذي يتسم بأنه عصر العلم و (التكنولوجيا) ومن البديهي أن القضية التي تبحث مدعمة بالأدلة مستوفية عناصر التحقيق العلمي أدعى للقبول والتسليم بمقتضياتها من تلك القضية التي تعالج بطريقة مرتجلة بعيدة كل البعد عن المنطق السديد ، والتحقيق المفيد .

لذا كان علينا أن نضع نصب أعيننا قواعد البحث وأصوله الصحيحة حتى نسير في الطريق السليم لكتابة البحوث التي تصل إلى درجة الإقناع بالأسلوب العلمي المبني على أساس من المنطق القوي المدعم بالبراهين العقلية والنقلية ، ومن هنا أحببت أن أعرض هذه الإلمامة السريعة حول منهج البحث العلمي آملاً أن تؤتي ثمرتها ، ولا حاجة إلى الإشارة بأني لم أقل كل شيء مما يجب أن يقال في مثل هذا الموضوع ، ويكفي أن أذكر ببعض جوانبه ولعل سائلاً يسأل ما دور علمائنا الأوائل في البحوث المنهجية فأقول إن تاريخنا الحضاري

يحفل بصور رائعة سجلها علماؤنا الأفذاذ في مجال البحث والتأليف ، فقد ضربوا في كل فن وعلم بسهم وافر ، وأبدعوا إبداعاً لم تشهد له الحضارات السابقة واللاحقة مثيلاً ، ولِمَ لا أقول ذلك والعقلية المسلمة عقلية عبقرية مبدعة ، وكل من له بصر بتاريخ الحضارة الاسلامية يدرك الحقيقة ، ولو رُحت أستعرض معكم المجالات التي أبدع فيها العلماء السابقون عبر فترات التاريخ الاسلامي لطال بي الحديث ، ويكفي أن أشير إلى ناحية هامة كان لهم فيها فضل السبق والاختراع أولاً وأخيراً ، تلك الناحية تتمثل فيما وضعوه من قواعد أصولية لبعض العلوم ، وأعني علم أصول الحديث ، والفقه ، والتاريخ ، والنحو ، وعلوم القرآن ، وقد رسمت هذه العلوم الأصولية الخطة الصحيحة للمنهج الموضوعي المتكامل الذي يأخذ بأيدينا إلى البحث المنهجي في العلوم التي وضعوا لها أصولاً ومنهجاً واضحاً ، وزيادة على ذلك فإنهم (أعني العلماء السابقين) قد تمثلوا المنهجية في بحوثهم ودراساتهم في مختلف جوانب المعرفة ، والمنهجية التي اختطوها لأنفسهم تلتقي كثيراً بمناهج البحث الموضوعي في عصرنا ، وشهد بذلك بعض المستشرقين الذين كتبوا مؤلفات يشيدون فيها بما يتمتع به العلماء المسلمون من براعة فائقة في منهج البحث والتأليف ، ويبدو ذلك واضحاً في كتاب (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) للمستشرق فرانتز روزنتال ، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يرى أن هذا المستشرق أنصف العلماء المسلمين في كتابه السابق إلا أنه لم يتجرد من دسائس المستشرقين ، وفي العصر الذي نعيش فيه تطورت أساليب البحث العلمي الموضوعي وأصبحت معرفة أصوله ضرورة لازمة لطلاب الجامعات والدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى التأليف في مناهج البحث وأصوله مستفيدين غالباً في بعض النواحي مما كتبه الغربيون في الموضوع نفسه ، ونذكر منهم الدكتور أحمد شلبي في كتابه (كيف تكتب بحثاً أو رسالة) وثريا ملحس في كتاب (منهج البحوث العلمية للطلاب والجامعيين) والدكتور محمد عجاج الخطيب في كتابه (لمحات في المكتبة والبحث والمصادر) وبما أن مناهج البحث تختلف باختلاف ميادينه وغاياته ، فإن الباحثين المهتمين بالمناهج قاموا بوضع مؤلفات

تتحدث عن منهج البحث لبعض العلوم والفنون ، من ذلك كتاب (مصطلح التاريخ) للدكتور أسد رستم ، وقد تحدث في كتابه المشار إليه عن الأصول التي يجب أن ينتهجها المؤرخ مستنيراً فيما كتب بمصطلح الحديث النبوي وفي المجال نفسه ألف الدكتور حسن عثمان كتابه (منهج البحث التاريخي) ، وألف الدكتور علي ابراهيم حسن — أيضاً — كتابه (استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام) ، وفي منهج البحث اللغوي والأدبي نجد كتاب (مناهج البحث في اللغة) للدكتور تمام حسان ، وكتاب (منهج البحث في الأدب واللغة) «١» لمؤلفين فرنسيين (لانسون ، ومابيه) أما منهج البحث في الرياضيات والعلوم فقد وضحه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (مناهج البحث العلمي) ومن خلال هذه المؤلفات نقف على صورة واضحة لمنهج البحث الموضوعي الذي يجب أن نعمل بمقتضياته ونسير على ضوئه فيما نكتبه من بحوث أو دراسات حول جانب ما من جوانب العلم والمعرفة لتكون بحوثنا ودراساتنا أكثر جدية وفائدة وعمقاً وتنظيماً ، هذا وقد تعددت وجهات الباحثين في أصول البحث ومناهجه ، ويهمنا أن نتعرف على أقرب صورة لهذه الأصول والمناهج .

٢ — أسس القراءة المفيدة :

من الضروري ونحن بصدد الحديث عن مناهج البحث أن نقف على الأسس السليمة للقراءة المجدية لكي ننتفع مما نقرأ في البحث والدراسة ، ويمكن أن نلخص أسس القراءة المفيدة بإيجاز شديد فيما يأتي :

أ — تركيز الوعي على ما تقرأه بحيث يتم لنا استيعاب الكتاب أو الفصل أو الموضوع الذي نقرأه ، ومن الملاحظ أن كثيراً من الطلاب يعمدون إلى الكتب العلمية والفكرية ، واللغوية ، فيتصفحونها تصفحاً عابراً وكأنما يقرؤون قصة أو مسرحية ، وليس من شك أن مثل هذه القراءة تعتبر ضئيلة الجدوى

(١) الكتاب مترجم الى العربية ترجمة الدكتور محمدمندور .

قليلة الثمرات ، ولعل القارىء يشعر بذلك حين ينتهي من قراءة الكتاب أو المقالة فلا يجد إلا صورة باهتة علقت بزوايا ذهنه من ذلك الكتاب أو تلك المقالة وسرعان ما تتلاشى وتزول ومثل هذا المسلك لا يركن إليه إلاّ من أراد بالقراءة ازجاء الوقت ودفع السآمة والملل واستجلاب النوم إلى العيون عندما يعز عليها النوم ، وقد يلجأ البعض إلى مثل هذا اللون من القراءة إذا أحس بالرغبة الشديدة في قراءة أكبر عدد ممكن من الكتب حيث لا تزيد قراءته لها عن التصفح العابر ، والنظرة العجلى ، ولو فكر قليلاً لأدرك أن قراءة كتاب واحد بل فصل في كتاب بتمعن وتركيز أجدى وأكثر نفعاً من قراءته العديد من الكتب دون أن يخرج منها بطائل . وهناك أمر لا بد من التنبيه عليه وهو أن نختار من الأوقات أنسبها للقراءة حيث يكون الذهن صافياً متوقداً . والنفس مرتاحة هادئة ، وحينما يحس القارىء بالفتور والتعب فعليه أن يترك القراءة ريثما يستريح ليعاودها في نشاط وحيوية .

ب ـــ أن نضع خطاً تحت النقاط الرئيسية فيما نقرأ ليسهل علينا الوقوف على الأفكار المهمة والجزئيات البارزة التي تعتبر محوراً لما هو مكتوب أمامنا ولا ننسى التعليقات الهامشية على الفقرات التي تستلزم منا مناقشتها أو التعليق عليها ، وحبذا لو رجعنا في ذلك إلى بعض المصادر للتأكد من وجهة نظر الكاتب أو الباحث فيما يعرضه علينا من قضايا يخالطنا فيها شيء من الشك ومجانبة الصواب ، وإذا التزمنا هذا المنهج سنجد أن ما قرأناه قد تيسر ادراكه على الوجه الصحيح .

جـ ـــ تلخيص ما نقرأه ، وذلك بعد الفراغ من القراءة الفاحصة المستأنية ، وهذا التلخيص يفيد المبتدئين من جهتين ، الأولى استذكار وترسيخ ما قرىء ، والثانية اكتساب دربة ومران على الكتابة إذ أن التلخيص يتطلب من الملخص إعادة كتابة المضمون الذي قرأه بأسلوبه الخاص ، ولا شك أنه سيكون في هذه المرحلة متبعاً لا مبتدعاً إلا أن ذلك سيمنحه القدرة على الكتابة ويسهل أمرها إلى أن يتزود بالقدر الذي يتيح له الاستقلال بشخصيته عن تبعية الآخرين .

د ـــ أن نضع بطاقة لكل كتاب أتممنا مطالعته على أن نسجل فيها اسم

الكتاب ومؤلفه وطبعته وتاريخها ثم ندون عليها الفقرات والمباحث التي مرت بنا أثناء القراءة مشيرين إلى رقم صفحاتها في الكتاب ، وهذه البطاقة تكون بمثابة فهرس شخصي يضع نصب أعيننامحتويات الكتاب الذي قرأناه وييسر لنا أمر الرجوع إلى ما نحتاجه منه فيما يتعلق ببحث نكتبه أو مسألة نريد الوقوف عليها ، وعندما تجتمع لدينا بطاقات كثيرة نقوم بترتيبها حسب فنونها ومواضيعها ، ولا جرم أن عمل هذه البطاقات مهم جداً بالنسبة لعشاق القراءة والبحث وأيسر مزاياها اختصار الوقت بالرجوع إليها لنقف على المباحث التي نريدها من أكثر من كتاب دون عناء أو تعب ، ولولاها لاقتضانا الأمر أن نقلب صفحات الكتب حتى نعثر على ما نريد ، ولا أحب أن أسترسل في بيان أسس القراءة فأكتفي بهذا القدر لأنتقل إلى عرض صورة منهج البحث الموضوعي .

٣ ـ حقيقة البحث والمنهج :

البحث في الحقيقة محاولة علمية جادة لاستجلاء جانب من جوانب المعرفة في صورة محكمة من التحقيق والتدقيق والشمول والعمق ، ويعرفه بعض الباحثين بأنه « هو الفحص والتقصي المنظم لمادة أي موضوع من أجل اضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الانسانية أو المعرفة الشخصية » (١) . أما كلمة منهج فإن بعض الباحثين (٢) يرى أنها ترجمة للكلمة الفرنسية (Methode) ويرجعها إلى أصل يوناني بيد أني أقول إننا في غنية عن مثل هذه الاحالة فالكلمة شائعة ومتوفرة في معاجم اللغة العربية وتعنى الطريق الواضح (٣) وفي ابتداء عصر النهضة الأوروبية أخذت الكلمة مدلولاً اصطلاحياً يعني أنها « طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم بقدر الإمكان ويحد أصحاب المنطق الحديث المنهج بأنه (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من

---

(١) لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٨٨

(٢) انظر مناهج البحث العلمى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٣

(٣) انظر القاموس المحيط (١/ ٢١٠) .

الأفكار العديدة أما من أجل الكشف عن الحقيقــة حين تكون بها جاهلين واما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين) «١» ونحن نعني هنا بالمنهج الطريق الصحيح لكتابة البحث الموضوعي المثمر الذي تتوفر فيه مقتضيات التحقيق والعمق والشمول والتنظيم ، ولا بد من الاشارة إلى أن مناهج البحث تختلف باختلاف ميادينه وغاياته فالباحث في التفسير يختلف عن الباحث في الحديث وكذلك الشأن بالنسبة للباحث في التاريخ والأدب واللغة ، بمعنى أن نوعية البحث هي التي تملي على الباحث خط السير الخاص بالعلم أو الفن الذي يبحثه ، ولكن خط السير العام أو الأصول المنهجية التي يجب أن يلتزمها كل باحث متفقة لا تختلف بين بحث وآخر ، وتتجلى لنا أهامية منهج البحث في كونه العامل القوي للاقناع وإيصال المعلومات الصحيحة غالباً إلى الأذهان ، إلى جانب كونه المسلك الذي يدخل به الباحث إلى ميدان المعرفة الفسيح ليذلل مشكلاتها وصعابها .

٤ ـ اختيار الموضوع :

الخطوة الأولى في منهج البحث هي اختيار الموضوع ، وهذه الخطوة على جانب كبير من الأهمية ، ولا أبالغ إنقلت إن نجاح الباحث في الموضوع الذي تم اختياره يكون بقدر نجاحه وتوفيقه في هذا الاختيار ، وتزداد هذه المرحلة أهمية بالنسبة للباحث المبتدىء إذ ربما تسرع دون تفكير فاختار موضوعاً غير مناسب أو موضوعاً لا تتوفر مراجعه ، أو موضوعاً شائكاً ينتهي فيه من حيث يبتدىء ، وتتعثر خطاه في أول الطريق ويندم على ما أهدر من جهد وأضاع من وقت ، وقد يختار موضوعاً لا تتوفر فيه عناصر الجدة والجاذبية التي تفرضه على المشرفين عليه ان كان الباحث طالباً في قسم الماجستير أو الدكتوراه وعلى هذا الأساس يلزم الباحث أن يلاحظ الأمور الآتية في الموضوع الذي يختاره

---

(١) مناهج البحث العلمى للدكتور عبدالرحمن بدوى ص ٤

١ ــ أن يكون مناسباً يجد فيه الباحث مجالاً واسعاً للبحث والتحقيق

٢ ــ أن تتوفر مراجعه مطبوعة ومخطوطة .

٣ ــ أن يكون موافقاً لقدرات الباحث وطاقاته العقلية والفكرية .

٤ ــ أن تتوفر فيه عناصر الجدة والابتكار .

ولبحوث الماجستير والدكتوراه شروط وأهداف أهمها الجدة ، والابتكار والسير على مستلزمات منهج البحث الموضوعي ، وإضافة رصيد جديد إلى المعرفة-الانسانية في أي مجال من مجالات البحث .

٥ ــ مصادر البحث :

لا بدّ لكل باحث من روافد ومصادر يستقي منها مادته التي يبني عليها البحث ولا يمكن أن يقوم بحث بدون مصادر كما لا يمكن أن يقوم بناء بدون أساس ، وإذا تحدد الموضوع بامكان الباحث أن يبدأ بجمع المصادر التي يجد فيها بغيته أو التي لها مساس مباشر أو غير مباشر ببحثه ، ولكي يتصور موضوعه تصوراً كاملاً ويضع له المخطط اللازم عليه أن يشرع في قراءه ما يدور حول موضوعه في المصادر والمراجع المختلفة حتى يتزود بحصيلة تيسر له أمر وضع المخطط النهائي للبحث ، وتلك عملية تستلزم الدقة إذ أن هذا المخطط يكون بمثابة اللبنات الأساسية للبحث ، على أن المصادر بالنسبة للباحث نوعان : مصادر أساسية ومصادر ثانوية ، وكلا النوعين ضروري إلا أن النوع الأول أكثر أهمية إذ عليه يرتكز الباحث أكثر ما يرتكز ، ولا يعني ذلك أن يهمل شأن المصادر الثانوية فقد يوجد في الأنهار ما لا يوجد في البحار ، ومن المعلوم أن مصادر كل بحث إنما هي الكتب التي تتعلق بموضوعه ، والموسوعات العلمية المتخصصة ، وفهارس المصادر والمراجع ، وبعض المجلات العلمية التي لها علاقة بالبحث والأشخاص الذين يتمتعون بالخبرة والدراية فيما يراد بحثه ، وقوائم دور النشر .

٦ ـ مصادر المصادر :

وأعني بها تلك المؤلفات الموسوعية التي وضعت لتسجيل أسماء الكتب في كل فن أو لكل علم من مثل الفهرست لابن النديم ، والفهرست لابن خير الاشبيلي ، وكشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، ومفتاح دار السعادة لطاش كبرى زاده ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس من ابتداء الطباعة إلى سنة ١٣٣٩ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ومثل هذه المؤلفات تعين الباحث على تحديد مصادره أو على تقصي مؤلفات شخصية ما يدور الحديث حولها ، والكتاب الأخير يفيد كثيراً في الاشارة إلى أماكن وجود المخطوطات التي يوردها ، والتي ربما كان من بينها ما يفيدك في بحثك ، وفي هذا الصدد لا ننسى فهارس المكتبات الهامة في الشرق والغرب إذ تعتبر هي الأخرى من مصادر المصادر .

٧ ـ جمع مادة البحث :

قال المحدث الشهير أبو حاتم الرازي من أعيان القرن الثالث « إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش » (١) والتقميش بمعنى الجمع من القمش أي جمع القماش وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء (٢) وقد وضع أبو حاتم بهذه العبارة دعامة من دعائم المنهج الصحيح للبحث والتكوين العلمي ، وتتم عملية جمع المادة بالرجوع إلى المصادر التي عينها الباحث لبحثه فهو يجمع منها كل ما يتصل بالموضوع في جزازات أو بطاقات ، وإذا تجمعت لديه كمية كبيرة من المواد كان عليه أن يقوم بعملية تصفية ، أو بعبارة أخرى عملية انتخاب للنصوص الملائمة لمخطط البحث ، وعملية الجمع تختلف بحسب

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٢٥

(٢) انظر القاموس (٢/٢٨٥)

ضخامة البحث أو صغره أو نوعيته ، ويذكر الباحثون لعملية جمع المادة أو للتقميش خمس طرق هي :

١ — اختصار المعلومات .

٢ — مجمل المعلومات .

٣ — شرح المعلومات .

٤ — النقل الحرفي .

٥ — النقد والتعليق .

ويكفي أن أشير إلى هذه الطرق مجرد إشارة عابرة إذ أنها واضحة للمتأمل وتشير بنفسها إلى ما يقصد بها ومع ذلك فلا بدّ من القول بأن الطريق الأول تُختصر فيه المعلومات على شكل نبذ واشارات ويتم ذلك في الحالة التي يكون فيها المصدر في متناول يد الباحث للرجوع إليه وأخذ المعلومات منه كاملة عند كتابة البحث ، وبالنسبة للطريق الثاني فإنه يعني أن تصاغ المعلومات التي تلزم الباحث من أي مصدر بشكل إجمالي وبعبارة الباحث نفسه ، ويمكن أن نطلق على ذلك (النقل بتصرف) ومن الضروري ما دمتُ بصدد الحديث عن جمع المادة أن أذكر شيئاً عن طريقة البطاقات التي يتم بواسطتها نقل المعلومات من المصادر ، وبإيجاز تام أقول إن الذين كتبوا في مناهج البحث وضعوا للبطاقة حجماً معيناً هو (١٠ × ١٤) سم تقريباً ، ولكن بإمكان الباحث أن يختار الحجم المناسب من البطاقات وعليها يدون النصوص التي يقتبسها من المصادر مكتوبة على عرض البطاقة وعلى وجه واحد منها ، ومن المستحسن أن يوضع لكل اقتباس عنوان يميزه عن غيره ، وإذا زادت المعلومات المنقولة على البطاقة في ناحية معينة فعلى الباحث أن يستنجد ببطاقة أخرى بيد أنه لا بد من كتابة عنوان الناحية على البطاقة الأخرى مع ترقيمها ترقيماً نسبياً أي بالنسبة للبطاقة السابقة ولما كتب فيها من معلومات ، ومن المهم جداً أن تشتمل البطاقة على ذكر اسم الكتاب المنقول منه ، واسم مؤلفه ، وسنة وفاته ، واسم المحقق أو المترجم ، ومكان الطبع وتاريخه وإذا كان المصدر مخطوطاً يشار إلى رقم

الورقة وإلى الوجه . وإلى مكان وجود المخطوطة ، ويجب أن تكون الأمانة العلمية رائد الباحث في كل ما ينقله أو يقتبسه أو يستدل به أو يسوقه بتصرف بحيث يعزو ذلك كله إلى مصادره الأساسية .

٨ ــ تصنيف مادة البحث :

تتم عملية التصنيف بعد عملية جمع المادة ، وذلك بالرجوع إلى البطاقات التي جمعت فيها اخلاطاً وأمشاجاً من المعلومات لكي ترتب تلك البطاقات وتوزعها أو تصنفها حسب نقاط المخطط الذي وضعته بحيث تجعل بطاقات كل فصل أو مبحث على حدة ، وخلال عملية التصنيف تستبعد البطاقات التي لا تلزم ، أو التي يتبين أنها لا تمت بصلة لأي نقطة من نقاط المخطط فعلى الباحث أن يبعدها غير مأسوف عليها ، ولو تعاظم ابعادها وأدخلها في البحث بطريق أو بآخر أدخل فيه ما ليس منه ، وإذا خطرت للباحث فكرة أو تعليق حول المادة المنقولة في بعض البطاقات يمكن أن يسجله على هامش البطاقة بشكل اشارات ، وبملاحظة عناوين الاقتباسات والنصوص المنقولة على البطاقة تتم خطوة التصنيف بيسر وسهولة .

٩ ــ كتابة البحث :

هذه الخطوة هي المرحلة الحساسة للبناء ، وإذا كان من السهل على كل طالب علم أن يقوم بجمع المادة فإن عملية الكتابة لا تيسر إلا لمن يحمل المواهب التي تمكنه من القيام بهذه المهمة ، وتبدأ هذه المرحلة بأخذ البطاقات التي تتعلق بقضية من قضايا البحث أو بفصل من فصوله ثم يشرع الباحث في استعراضها والتأمل فيها ، والموازنة بين ما تحتوي عليه من آراء ، ونقد ما يستوجب منها النقد ثم يبدأ بالكتابة موضحاً ومعلقاً ومحققاً وموازناً ، وناقداً للمعلومات الماثلة أمامه في البطاقات ، ومن البديهي أن كل بحث يحتاج إلى مقدمة وخاتمة ، أما المقدمة يتحدث فيها عن أهمية الموضوع وملابساته ومنهجه ومحتوياته

ومصادره وما استجد فيه ، وأما الخاتمة فهي مجرد إجمال موجز منظم للمعلومات السابقة ، في البحث نفسه ، ومما تجب مراعاته في كتابة البحث أن لا يكون الباحث عالة على من سبقه بحيث يكتفي بمجرد النقل وحشد المعلومات والتلخيص دون أن يعلق ويحقق ويرجح وينقد ، ويتأمل ويفكر ويستنبط ويناقش بروية ومنطق وبرهان ، على أن الدقة والتنظيم في العرض أمران ضروريان لنجاح البحث واحتلاله المنزلة اللائقة به وليس للبحث قيمة إذا لم تظهر فيه شخصية الباحث ويتجلى مدى ادراكه وفهمه لما يبحثه ، ومن العيب أن يكثر الباحث الحديث عن نفسه ، والافتخار بما توصل إليه من نتائج خلال البحث ، ولا بد من احترام آراء الآخرين والابتعاد عن الغرور والنيل من الشخصيات ، وكثيراً ما يخرج بعض الباحثين على حدود القصد والاعتدال بالتعصب لرأي أو مذهب أو شخصية ما وفي سبيل الحرص على تعصبهم يتنكبون الطريق الصحيح فيتمسكون بآرائهم ويتعصبون لها وان بدى لهم خطوءها وصواب غيرها فتضيع بذلك القيمة العلمية للبحث ، ومن الضروري أن تصاغ المعلومات بأسلوب عربي سليم واضح مبرأ من الخطأ النحوي والاملائي ، ومن الغموض والالتباس وأن يبتعد الباحث عن الاستطرادات والانسياق مع الأسلوب الخطابي .

١٠ـ إعداد الفهارس :

عمل الفهارس خطوة أخيرة تأتي بعد تمام البحث ، ومن الباحثين من يلزم جانب الفهرست العادية أي الاكتفاء بفهرست الموضوعات فقط ومثل هذه الفهرسة تعد عملاً ناقصاً ، والعمل الكامل يتمثل في وضع الفهارس الفنية الدقيقة الشاملة ، وتوضع هذه الفهارس بحسب طبيعة الموضوع ونوعيته ، وغالباً ما تشتمل على فهرس للموضوعات ، والآيات القرآنية ، والأحاديث ، والاعلام والبلدان والقبائل ، والأشعار ، والمصطلحات العلمية ، واللغة ، والكتب ، ويتم وضع هذه الفهارس مرتبة على أحرف الهجاء ، والله الموفق إلى سواء السبيل ؟ .

(٢)

من تاريخ الدعوة السلفية

الشيخ عبد الحميد بن باديس

قائد الحركة الاصلاحية في الجزائر

بقلم الشيخ محمد شريف الزيبق
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة

أدرك ابن باديس رحمه الله ما آلت إليه بلاده تحت وطأة القوانين الفرنسية المخصوصة (الاستثنائية) التي تحرم المواطنين الجزائريين من كافة الحريات، من الكتابة والاجتماع والسفر والانتقال من بلد إلى بلد داخل الجزائر نفسها، فلا يسافر أحد منهم إلا بإذن من الشرطة الفرنسية يبين فيه الجهة التي يقصدها والمدة التي يمكنه التغيب فيها عن قريته أو مدينته، وعليه أن يتوجه لمركز الشرطة بمجرد وصوله. وكانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تحرم على الجزائريين مطالعة الكتب وافتتاح المدارس محاولة بذلك القضاء على الكيان الجزائري بالعمل على إفقار الأهالي وتركهم فريسة الجهل.

وقامت في الوقت ذاته بفتح بعض المدارس الفرنسية، وشجعت المبشرين على بذل كل ما يستطيعون لتنصير الجزائريين، ولم تترك لهم من الحرية إلا أن يموتوا جوعاً كما يقول المستشرق الفرنسي المنصف جوستاف لوبون (١).

وكان الجنرال بيجو أحد القواد الفرنسيين المستعمرين يجمع اليتامى من أطفال الجزائر ويأتي بهم إلى الكاردينال (لافيجري) ويقول له (حاول أن تجعل هؤلاء الأطفال مسيحيين، وإذا فعلت ذلك فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار). وكان لافيجري

(١) حاضر العالم الاسلامى ج ٢ ص ١٨١

يقول : (علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهداً لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور الانجيل .. تلك هي رسالتنا (. وقد حرصت فرنسا على تشييد الكنائس الضخمة في كثير من المدن الجزائرية ، وحولت بعض المساجد إلى كنائس أو دمرتها .

ولكن آمال المستعمرين خابت ، فقد قام الكردينال لافيجري بتربية نحو أربعة آلاف طفل من أيتام الجزائريين على المسيحية ، ووضعهم في محيط قطع فيه جميع علاقاتهم مع المسلمين ، ولكنهم عندما بلغوا سن الرشد عادوا إلى الإسلام دين آبائهم إلا النادر منهم (١) .

في هذه الظروف القاسية وفي أشد أدوار محنة الجزائر بالاستعمار ، ظهر عبد الحميد بن باديس فقاد أعظم نهضة إسلامية إصلاحية ، وسدد الله عز وجل خطاه فكان قائد الشعب الجزائري المسلم إلى التحرر من الجهل والخرافة والاستعمار .

نشأة ابن باديس :

ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى ابن مكي بن باديس في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٠٨ بمدينة قسنطينة كبرى المدائن في شرق الجزائر ، من أسرة معروفة بالعلم والفضل وسعة الجاه ، ويتصل نسبه بالمعز بن باديس الصنهاجي موسس دولة صنهاجة التي خلفت دولة الأغالبة في القيروان . وكان عبد الحميد الإبن البكر لوالديه ، فعنيا بتربيته وتثقيفه على يد أفاضل المربين ، وحفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ولفت أنظار مؤدبيه ، وخاصة الشيخ محمد المداسي الذي طلب إليه أن يوم المصلين في صلاة التراويح خلال شهر رمضان في الجامع الكبير بقسنطينة .

وكان أبرز أساتذته في هذا الدور الشيخ حمدان الونيسي الذي تلقى عليه العربية وعلوم الشريعة بجامع سيدي محمد النجار ، وقد أخذ عليه شيخه الونيسي عهداً ألاّ يعمل موظفاً في الحكومة .

وفي عام ١٣٢٣ ارتحل ابن باديس إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة وكان من أبرز شيوخه في الزيتونة الشيخ محمد النخلي والشيخ محمد الطاهر

(١) المرجع السابق ص ١٨٧

عاشور وبعد عامين من الدراسة كلف التدريس في الزيتونة فكان مع طلبه العلم يقوم بالتدريس على حسب العادة فيها ، حتى نال شـهادة التطويع (العالمية) من جامع الزيتونة .

رحلته إلى المشرق :

وفي عام ١٣٣٠ عزم على الرحلة إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، وفي المدينة المنورة لقي شيخه حمـدان الونيسي الذي كان قد هاجر إليها وقد ألقى بعض الدروس في المسجد النبوي ، والتقى بأحد علماء الهند الشيخ حسين أحمد وتلقى عليه بعض العلوم ، وكان الشيخ الونيسي قد طلب من ابن باديس الإقامة معـه بالمدينة ، ولكن الشيخ حسين أحمد أشار عليه بالعودة إلى الجزائر والقيام بنشر العلم في ربوعها ، وممن التقى بهم في المدينة الشيخ البشير الابراهيمي الجزائري الذي تبادل معه البحث في أحوال الجزائر وحاجتها إلى الاصلاح وقد أصبح فيما بعد زميلاً له في عمله في جمعية العلماء الجزائريين .

وبعد أن أمضى ابن باديس نحـو عامين في الحجاز توجه نحو بلاد الشام فزار بيت المقدس ودمشق وغيرهما من المدن الشامية ، وقفل راجعاً إلى الجزائر ماراً بالقاهرة حيث التقى فيها بالشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية — وهو من العلماء المصلحين — وتلقى عليه وأجازه .

عودته إلى الجزائر :

وحين عاد إلى الجزائر عام ١٣٣٢ أقام في مسقط رأسه قسنطينة ، وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، فشرع في وضع خطة العمل في ذلك الجو المظلم من الاستعمار الغاشم الذي كان يفرض أسطورة الجزائر الفرنسية وفي الوقت الذي نجح فيه الفرنسيون في اصطياد بعض الناس من محترفي السياسة الجزائريين ، قام ابن باديس بالعمل الهادىء لمحاصرة فرنسا في عزم ولين ، من غير أن يلفت الأنظار أو يثير العقبات ، فبدأ بإعداد جيل صالح ينهض بالجزائر نهضة إسلامية عربية ، وشرع بالتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة ، ولكن الحكومة الفرنسية منعته من التعليم فيه بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود ابن الموهوب ، فسعى أبوه لدى الحكومة الفرنسية وكان ذا جاه عندها

فسمحت لولده عبد الحميد بن باديس بالتدريس في الجامع الأخضر بقسنطينة

بدوءه بالتعليم :

يقول ابن باديس : (لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام ١٣٣٢ وعزمنا على القيام بالتدريس ، أدخلنا في برنامجنا دروساً لتعليم اللغة العربية وآدابها ، والتفسير والحديث والأصول ومبادىء التاريخ والجغرافية والحساب وغيرها ، ورأينا لزوم تقسيم المتعلمين إلى طبقات ، واخترنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية الـتي وضعتها وزارة المعارف المصرية ، وأحدثنا تغييراً في أسلوب التعليم ، وأخذنا نحث على تعلم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي ، وتحبيب الناس في فهم القرآن ، وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية ، والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية ، ونرغبهم في مطالعة كتب الأقدمين ، ومؤلفات المعاصرين (١) .

وكانت دروس ابن باديس تبدأ بعد صلاة الفجر ، وتستمر طيلة النهار ، لا يقطعها إلا فترة ساعة بعد صلاة الظهر — يتناول فيها غداءه ويعود إلى عمله في تعليم الصغار حتى صلاة العصر . وبعد العصر يقوم بتعليم الشباب إلى المغرب ، وبين العشاءين يقوم بالتدريس للكهـول والشيوخ حيث تستمر دروسه إلى نحو منتصف الليل .

وفي دروسه للعامة كان يحرص على العبارات الفصيحة السهلة وعن طريق التدريس والوعظ استطاع ابن باديس أن ينشر الفصحى بين العوام وأن يرتفع بهم إلى إجادة اللغة العربية رغم أمية أكثرهم ، وعن هذا الطريق استطاع المحافظة على اللغة العربية عند كثير من أبناء الجزائر ، وكانت فرنسا تحارب اللغة العربية بكل وسيلة وتحل محلها لغتها الفرنسية .

وقد امتد نشاط ابن باديس إلى المدن الجزائرية الأخرى فكانت له دروس في مدينة (الجزائر) العاصمة وفي مدينتي وهران وتلمسان إذ كان يسافر إلى هذه المدن كل أسبوع على بعد الشقة وطول المسافة فيلقى فيها دروسه في التفسير .

(١) آثار ابن باديس ج ٢ ص ٢٧ نقلا عن مجـلة (المنتقد) التى كان يصدرها ابن باديس .

وقد أثمرت جهود ابن باديس فلم يأت عام ١٣٤٠ حتى كان تلاميذه يتجاوزون الألف ، وقد كفاه الله شر الاستعمار ، وكان له من وجود والده درع وقاية من بطش فرنسا التي لا تصبر على أقل من هذه الحركات وكان لوالده مقام محترم عند حكومة الجزائر ، فسكتت عن الابن احتراماً لشخصية والده كما يقول الشيخ البشير الابراهيمي .

طريقته في التربية :

يمكن أن نتعرف على أسلوبه في التربية والتعليم من قوله : (لن يصلح المسلمون إلا إذا صلح علماؤهم ، لأنهم بمثابة القلب للأمة ، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ، ولن يصلح التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه ، في مادته وصورته ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت معلماً) رواه مسلم .

فهو لا يسير على طريقة معاصريه من العلماء الذين كانوا يعكفون على كتب المتأخرين من المتون والمختصرات وخاصة في الفروع الفقهية مبتوتة عن أدلتها الشرعية ، وكان يرى أن المسلمين لم يضعفوا إلا عندما فرقوا بين العلم والعمل ، فكثرت البدع والضلالات ، وجاءت الفرق الباطنية فعملت على أن تدخل في العقائد الاسلامية كثيراً من الضلالات عن طريق المتصوفة الذين فصلوا بين علوم الظاهر والباطن ، مع أن الخلق القويم لا بدّ أن يكون نتيجة تطابق الباطن مع الظاهر ، ويقول ابن باديس :

(العلم قبل العمل ، ومن دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ، كما يقول : (إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله ، إذا كانت لهم قوة ، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة تفكر وتدبر . . إننا نربي والحمد لله تلامذتنا على القرآن ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم وفي كل يوم ، وغايتنا التي ستتحقق أن يكوّن القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها) .

ويوصي ابن باديس طلاب العلم بالاطلاع على مدارك المذاهب حتى ينشئوا (فقهاء إسلاميين ينظرون إلى الدنيا من مرآة الاسلام الواسعة لا من عين المذاهب الضيقة) .

جوانب من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

للشيخ عبد القادر شيبة الحمد
المدرس بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول الله وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين . أما بعـــد : فلهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جوانب مضيئة ، تنير السبيل ، وتهدى الطريق كسائر ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما – واللفظ للبخاري – قال البراء :

اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رضي الله عنه رحلاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر رضي الله عنه لعازب : مر البراء فليحمل إليّ رحلي ، فقال عازب : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة ، والمشركون يطلبونكم ، قال : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصري هل أرى من ظل ؟ فآوي إليه : فإذا صخرة أتيتها ، فنظرت بقية ظل لها فسويته ثم فرشت للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ، ثم قلت له : اضطجع يا نبي الله : فاضطجع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلقت أنظر ما حولي ، هل أرى من الطلب أحداً ؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة ، يريد منها الذي أردنا ، فسألته فقلت له : لمن أنت يا غلام : قال : لرجل من قريش ،

سماه ، فعرفته ، فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : فهل أنت حالب ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه . فقال هكذا : ضرب إحدى كفيه بالأخرى ، فحلب لي كثبة من لبن ، وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة على فمها خرقة ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : قد آن الرحيل يا رسول الله ؟ قال : بلى . فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ! فقال : لا تحزن إن الله معنا . وفي رواية مسلم : « فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه إلى بطنها — أرى — فقال : قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ فادعوا لي ، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب ، فدعا الله فنجا ، فرجع لا يلقى أحداً إلاّ قال : قد كفيتكم ما ههنا ، فلا يلقى أحداً إلا رده ، قال : ووفى لنا » وفي لفظ مسلم : « فلما دنا دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخ فرسه في الأرض إلى بطنه ووثب عنه ، وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه ، ولك عليّ : لأعمين على من ورائي ، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها فإنك ستمر على إبلي وغلماني بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك قال : « لا حاجة لي في إبلك » .

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن عبد الله ابن سلام رضي الله عنه بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاّ نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني به جبريل آنفاً قال ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال : « أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ما ء الرجل نزعت الولد » . قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، قال : يا رسول الله : إن اليهود قوم بُهتٌ فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن أسلم عبد الله ابن سلام ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك : فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه . قال : هذا كنت أخاف يا رسول الله .

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أسباب وآثار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة المنورة فوصفهم بأنهم : « **أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** » وكما قال فيهم : « **الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله** » .

وقد وصف كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني رضي الله عنه استجابة المهاجرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجهم من ديارهم وأموالهم ينصرون الله ورسوله حيث يقول :

في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا (١)
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

---

(١) أى هاجروا .

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرّد السود التنابيل
شم العرانين أبطال لبوسهموا من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حِلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهموا قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلاّ في نحورهموا وما لهم عن حياض الموت تهليل

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم » .



نور السوط والعصا

للدكتور طه الزيني - المدرس في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة

قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده من شعره وكان كافراً أراد أن يختبر حال النبي صلى الله عليه وسلم بعدما سمع من قريش ، فتلا عليه الرسول الإخلاص والمعوذتين فأسلم في الحال ، وعاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، ولكن قومه عصوه وامتنعوا عليه ، ولم يجبه إلى الإسلام إلاّ أبو هريرة رضي الله عنه .

فعاد إلى النبي وقال له : يا رسول الله إن دوسا عصت فادع الله عليهم ، فقال الرسول : اللهم اهد دوسا ، فقال الطفيل : ما كنت أحب هذا ، فقال الرسول : إن فيهم ملكاً كبيراً ، وكان ملكهم عمرو بن حممه الدوسي يقول في الجاهلية : إن للخلق خالقاً لكنني لا أدري من هو . . ؟ فلما سمع بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ذهب ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا ، فلما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لدوس بالهداية ، ورأى الطفيل أن لا مفر من دعوتهم قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ابعثني إليهم واجعل لي آية (علامة) على أني مبعوث من قبلك ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « اللهم نور له نوراً بين عينيه » فقال الطفيل : يا رب أخشى أن يقول الناس « مثلة » أي عيباً وداء في وجهي ، فحول الله النور إلى طرف سوطه فكان يضيء له في الليلة المظلمة . .

هذا نور السوط . . أما نور العصا فقد كرم الله به رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هما : أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر رضي الله عنهما . وكانا من السابقين الأولين للإسلام وإلى المكرمات ، أولهما ثبت

يوم أُحد حتى جُرح سبع جراحات ، وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « نِعْمَ الرجل أسيد بن حضير » ، وثانيهما كان ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي خان الله ورسوله وأضمر الشر والعمل على هزيمة المسلمين ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سمع صوت عباد بن بشر يوماً « اللهم ارحم عباد ابن بشر » روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عباد ابن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما . (الاصابة ترجمة عباد بن بشر وأسيد ابن حضير) .

سيقول أُناس : وهل يعقل هذا ؟ وما الذي يجعل السوط يضيء والعصوين تضيئان ؟ أقول لهم : الذي جعل الكهرباء في الجو فكان منها الرعد والبرق ، وجعل صور الناس والأشياء فدخل في صندوق صغير هو جهاز التلفزيون ، وجعل جلد الهر يسبب المغناطيسية إذا دُلك به عمود من الآبنوس ، وجعل الأصوات تذهب من أقصى الأرض إلى أقصاها بقدرة الإنسان ، الذي جعل كل ذلك قادر على أن يجعل السوط والعصا مضيئتين .

وأكبرُ من ذلك خَلَقَه الله تعالى وسخرّه للإنسان ، قال تعالى : **« أو لم يرَ الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصم مبين » ، «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » « والذي خلق الأزواج كلها ، وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ، لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ، وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » « وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم » .**

أقول للشاكين والمستكثرين والمستعظمين : إن الله على كل شيء قدير .



منهج القرآن في تحرير العقل والفكر

بقلم : أحمد عبد الرحيم السايح
« من علماء الأزهر »

نزل القرآن بين العرب وباللغة العربية الفصحى وكان العرب عند نزول القرآن مختلفين في عقائدهم وبمعتقداتهم اختلافاً كبيراً . فمنهم المشركون عبدة الأصنام ، ومنهم من كان يعتنق النصرانية أو اليهودية ، ومنهم الأحناف الذين ترجع عقيدتهم إلى ملة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ومن هؤلاء وأولئك من كان يتطلع إلى دين جديد . ونبي جديد ، ولكنهم لا يدرون من أي قبيلة سيكون ذلك النبي ، وبأي دين سيأتي غير أن رأياً عاماً كان منتشراً بينهم بقرب مقدم النبي الذي تحدثت عنه الكتب السماوية وملأ خبره أرض الجزيرة العربية .

ولقد حدثنا القرآن عن هذه الأنماط المختلفة من العرب ذوي العقائد المتباينة وخاطبهم جميعاً .

وعلى الرغم من وجود هـذه المعتقدات والآراء ، إلا أن التاريخ لم يثبت أن هذه المعتقدات والآراء كانت تقوم على منهج عقلي أو فلسفي واضح ، ولم يتح للعرب أن يبلوروا هذه المعتقدات في فلسفة فكرية ذات قواعد واضحة محددة .

بل كانت قاعدتهم الفكرية هي « إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على

آثارهم مهتدون » وهذه القاعدة من شأنها أن تحجر على الفكر النظر والبحث والتأمل . وبالتالي توقف النمو العقلي الذي يعين على الوصول إلى الحقائق المتصلة بالكون والحياة .

ولهـــذا كانت مهمة القرآن هي العمل على إبطال هذه القاعدة وغرس ما من شأنه أن يدعو إلى استعمال العقل والتدبر والتأمل ، حتى تزول تلك الحجب الكثيفة التي تحول بين العقل والرؤيا الصحيحة للأشياء ، وليخلق أمة جديدة تعلي من شأن العقـــل ، وتستخدمه في مختلف شئونها ، وتفتح أمامه آفاقاً غير محدودة لاستكناة حقائق الوجود . وأقام الاسلام منهجه في تحرير العقل والفكر على ثلاث دعائم هامة :

الدعامة الأولى :

تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته على حرية الفكر واستغلال الارادة ، ليكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيتـــه وإنسانيته ، فإن كمال العقل واستقامة التفكير واســـتقلال الارادة ، هي أساس صحة العقائد واستقامة التدين ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ، ومعرفة الباطل الذي يجب أن يتجنب ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن رديء وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » .

وقد عُني الإسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى فجعل البرهان أساس الإيمان الصادق والعقيدة الصحيحة ، وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود عـــلى صاحبه ، وأنذر الذين يجادلون في الله وآياته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير « **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** » .

وكشف عن خلال القادة الدينيين الذين انحرفوا عن العهود والمواثيق المأخوذة عليهم ، وافتروا على الله الكذب ، وانتحلوا لأنفسهم حق التشريع والتحليل والتحريم ، ارضاء لأهوائهم وإشباعاً لشهواتهم ، وتلبيساً على الناس في دينهم كما في قوله تعالى

« وإذا أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مــا يشترون » ، « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ، « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم » ، « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ودعاهم إلى كلمة الحق التي يستجيب لها كل ذي قلب سليم وعقل رشيد ، والتي لم يختلف فيها نبي مرسل ولا كتاب منزل كما قال تعالى «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وطالب كل ذي عقل بالنظر في عوالم السموات والأرض وما فيها من الدلائل الواضحة على وحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته كما في قوله تعالى « أو لم ينظروا في ملكــوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ، « قل أنظروا مــاذا في السموات والأرض » ، « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ، « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت» « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

واستنهض العقول ووجه الأفهام وأيقظ الحواس ونبّه المشاعر بالتعقيب على بيان الآيات الكونية والتشريعية بمثل قوله تعالى « إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون ، إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون ، إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى ، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ، إنما يتذكر أولوا الألباب » .

وبشر الذين يستمعون القــول

فينظرون فيه نظر الناقد البصير ويتبعون منه ما يدل على الحق ويهدي إلى الرشد كما قال تعالى « **فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** » .

وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم واعراضهم عن دلائل الآيات الكونية التي يشاهدونها في كل لحظة وهم عنها غافلون ، وتطالعهم بدلائلها في كل آونة وهم عنها معرضون ، كما في قوله تعالى « **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها . فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور** » « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون** » ، « **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** » .

وعاب على أسرى التقليد اعراضهم عن الحق الذي جاءت به أنبياء الله ورسله ، وجمودهم على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم ، وارتكابهم الفواحش باسم الدين ، تعصباً للجمود والتبعية العمياء كما قال عز وجل « **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون** » ، « **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** » « **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون** » .

ويبين لهم عاقبة التبعية العمياء ومدى جنايتها عليهم كما قال تعالى : « **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا** » .

فالتقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات لأنه يميت مواهب الفكر والنظر ويوجب جمودها وركودها ، ولا يميز بين الحق والباطل ولا بين الصواب والخطأ ولا يفرق بين التقليد في الخير والتقليد في الشر ،

ويحمل أهله على الإعراض عن الحق ومعاداة أهله ، والوقوف في طريق الإصلاح والمصلحين ، والجمود على العقائد والمذاهب الموروثة والتعصب الجماعي لحمايتها ، لأن قيام العقائد والمذاهب على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد يضفي عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير في صحتها أو بطلانها ، ومعارضة كل اصلاح جديد يخالفها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقائق في آيات كثيرة في شأن معاداة الأمم الماضية لدعوة رسلهم « **وكذلك ما أرسلنا قبلك في قرية من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أوَ لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** » وقال في شأن معاداة قريش للدعوة الاسلامية « **وعجبوا أن جاءهم منذر وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً ! إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد** » .

وهكذا يفعل التقليد الأعمى وتقديس المعتقدات القائمة على الوراثة فهؤلاء كانوا يعرفون الرسول حق المعرفة ، ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم ، ولكن التعصب الجماعي القائم على التقليد الأعمى وتقديس ما وجدوا عليه آباءهم حملهم على أن يعجبوا من دعوته ويتنكروا لها ، ويقولوا فيه وفي دعوته ما حكاه القرآن عنهم . ولو أنهم حرروا أنفسهم من سيطرة التقليد الأعمى والتعصب الجماعي ، ورجعوا إلى تحكيم عقولهم وضمائرهم وسلكوا الطريق التي أرشدهم إليها القرآن في قوله « **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلاّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » ولو خلا كل واحد منهم بمن يعرف فيه سداد الرأي واستقامة التفكير واستطلع رأيه واستكشف ما في قرارة نفسه ، أو خلا بنفسه واستوحى عقله واستفتى قلبه لزالت عنهم تلك الغشاوة التي عقدها التعصب الأعمى على القلوب والابصار ولعرفوا أن صاحبهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ليس به ما يفترون ، وإنما هو رسول من الله صادق أمين ، ونذير لهم بين يدي عذاب شديد .

وهذه الحقيقة التي قررناها ، وهي أن قيام المذاهب والعقائد على أساس الوراثة والتقليد الأعمى يضفي عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها وتصرفهم عن التفكير في فسادها وبطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعي لحمايتها من كل دعوة تخالفها أو تنتقص من قداستها ، هي السر في تمسك الأمم والطوائف بالمذاهب الموروثة وجمودهم عليها ، وإن كانت لا تستند إلى نظر صحيح ، ولا تقوم على أساس من الحق ، وقصارى ما تعتمد عليه هو التقليد الأعمى القائم على التبعية العمياء وتقديس مواريث الآباء والأجداد ! .

ولهذا قرر الاسلام حق الانسان في حرية الفكر واستقلال الارادة ، وفتح له طريق التحرر الفكري ، والاستقلال الارادي وبوأه المنزلة اللائقة بإنسانيته وكرامته ، وعرفه أن الله تعالى لم يخلقه عبداً يقاد كما تقاد الأنعام ، ولا جعل لمخلوق حق السيطرة على عقله وفكره ، وإنما خلقه حراً مالكاً لقيادة نفسه ، وعبداً خالصاً لربه . يفكر بعقله ويسترشد بمواهبه ويعمل باختياره وارادته ، ويهتدي بنور العلم في اختياره وعمله ، لا يظهر العبودية إلا لخالقه ولا يدين في عقائده وسلوكه إلا بدين الحجة والبرهان .

وهناك حقيقتان قد يقع الخلط في فهمهما :

أما الحقيقة الأولى : فهي أن التقليد الذي ذمه الاسلام وشدد النكير على أهله ، والذي سبق بيان مفاسده وآثاره السيئة في الأفراد والجماعات إنما هو التقليد الذي يقوم على التبعية العمياء ، والجمود على القديم الموروث ، ومحاربة كل جديد يخالفه ، ولو كان ذلك الجديد أقوم طريقة وأهدى سبيلاً .

وأما الحقيقة الثانية : فهي أن حرية الفكر التي جعلها الاسلام رائداً للتفكير الديني ونبراساً للعقول والافهام في الاهتداء إلى معالم الحق هي الحرية التي تطلق العقول والأفهام من أغلال الحجر العقلي ، والكبت الفكري ، وتحررها من سيطرة التقليد والتبعية العمياء ، وتجلى لها معالم الحقائق التي كانت محجوبة عنها ، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء وإصلاح وإرشاد لا قيادة هدم وإفساد وتضليل ، وتستمد

مقوماتها العلمية من هدى الاسلام وتعاليمه ونضوج العقـل واستقامة التفكير والاعتماد على قضايا الحق والمنطق ، وتحكيم الحجة والبرهان ، وتجري في فهم نصوص الكتاب والسنة والاستنباط منها والاستدلال بها على قوانين النظر والاستدلال ، وأوضاع اللغـة العربية وخصائص دلالتها ، إذ لو وكل الأمر في ذلك إلى الناس يفهمونها ويستنبطون منها كما يريدون ويشتهون لاختلت موازين الصواب والخطأ ، في الفهم والاستنباط وغابت الحقائق عن الأفهام في غمرة الأهواء .

الدعامة الثانية : تحرير الانسان من أصفاد الجهل وظلمته . فإن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ويطفىء نور القلوب ويعمي البصائر ويميت عناصر الحياة والقوة في الأمم ، ويفسد عـلى جماهير الناس مناهج الدين والتدين ، وهو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول ما يحدث في الدين من خرافات وبدع ، لأن أهل الأهواء والبدع الذين يظهرون بين الناس بمظهر القادة والزعماء الدينيين يجدون في الجهل بتعاليم الدين مجالاً واسعاً لنشر الخرافات والبدع باسم الدين ، ويسارع أكثر الناس وبدافع الجهل والثقة العمياء إلى اعتناقها ويعملون بها على أنها من الدين وهم لا يعلمون أن الدين منها براء .

ولقد عني الاسلام ببناء هذه الدعامة دعامة تحرير الانسان من الجهل عناية كبرى ، فذم الجهل والجاهلين في مواطن كثيرة كمـا في قوله تعالى « **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** » « **أفحكم الجاهلية يبغون** » « **ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون !** » « **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيهـا الجاهلون** » « **فلا تكونن من الجاهلين** » « **إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ».

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، في عقائدهم وتدينهم كما في قوله تعالى « **ان يتبعون إلاّ الظن وان هم إلا يخرصون** » ، « **وما يتبع أكثرهم إلاّ ظناً . إن الظن لا يغني من الحق شيئاً . إن الله عليم بما يفعلون** » « **ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** » .

وعظم شأن العلم وحث على طلبه كما في قوله « **بل هو آيات بينات في**

صدور الذين أُوتو العلم » « **وقل ربِ زدني علما** » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده «١») ، (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة «٢») .

ونوه بفضل الحكمة وما فيها من الخير الكثير كما في قوله تعالى : « **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً** » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس «٣») ورفع منزلة العلماء وجعلهم أهل خشيته وقرن شهادتهم بشهادته تعالى وشهادة ملائكته كما في قوله تعالى « **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » « **انما يتذكر أُولو الألباب** » ، « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » ، « **شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأُولو العلم** » .

وجعلهم ينابيع العلم وموارد العرفان ورواد الحق ودلائل الهدى ، كما في قوله تعالى « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » وخصهم بالتعقل والفهم في مقام ضرب الأمثال وبيان آيات الله الكونية كما في قوله تعالى « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون** » ، « **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم . إن في ذلك لآيات للعالمين** » .

وهكذا عرف المسلمون الأولون منزلة العلم وفضله وأدركوا مبلغ الحاجة إليه في دنياهم وبناء مجتمعاتهم ودعم سلطانهم ، وأنه هو الذي يوضح لهم معالم السير على النهج القويم ، ويفتح لهم آفاق الحياة العزيزة الكريمة ويكشف لهم عن أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، ويقيم لهم وسائل الحياة والقوة ويبني لهم قواعد السيادة والمجد

---

(١) أما الجزء الأول من الحديث فرواه الشيخان وغيرهما وتمامه عندهما (وانما أنا قاسم والله يعطى) هكذا لفظ البخارى فى كتاب العلم ، واما قوله (ويلهمه رشده) فرواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وحسنه ابن حجر ، اما الذهبى فقال هو حديث منكر .

(٢) متفق عليه واللفظ المذكور رواه الترمذى .

(٣) متفق عليه ولفظ مسلم قريب مما ذكره الا انه قال (ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) اخرجه فى كتاب صلاة المسافرين .

عرفوا كل هذا فوجهوا عزائمهم إلى طلب العلوم على اختلاف أنواعها ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة ونعماؤها ، ولا ثنت عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراؤها ، وبحثوا عنها في آيات الله التشريعية وآياته الكونية ، وأقاموا لها في كل قطر إسلامي مناراً عالياً ، وحملوا مشاعلها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ولم يقفوا بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم بل اتجهوا بها أيضاً إلى علوم السابقين يدرسونها ويمحصونها ويأخذون عنها ويزيدون عليها ، وما هداهم إليه البحث والنظر والاستدلال فاستخرجوها من زوايا الاهمال والنسيان ، وأخذوا إبريزها بعد أن زادوه نقاء وصفاء ، وردوا زائفها بعد أن بينوا زيفه وفساده ، لأنهم كانوا يطلبون هذه العلوم طلب الناقد البصير ، لا طلب التابع المقلد ، واكتمل لهم من ملكات العلوم والفنون في جيل واحد . ما لم يكتمل لأمه من الأمم الناهضة في عدة أجيال .

وان تعجب لهذه النهضة العلمية التي تخطت مراحل النهوض في الأمم فعجب أنهم قاموا بها على رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها لأن الأحداث والخطوب ، وان بلغت من العنف ما بلغت ، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول إلى أغراضها وأهدافها .

وبهذه النهضة العلمية استطاعوا أن يعملوا عمل الأقوياء لدينهم ومجتمعهم ، لأن العمل لبناء المجتمعات القوية في دينها ودنياها لا يصدر إلا عن إرادة قوية دافعة . والارادة القوية الدافعة لا تنبثق إلا من العلم ، فالأمة التي أفقدها الجهل قوة الارادة وصدق العزيمة لا يمكن أن تعمل لدينها ولا لكيانها .

الدعامة الثالثة : تحرير الإنسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لوحيها ، لأن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الإنسان في سلوكه والتوائه في نظره وتفكيره ، وضلاله في عقائده وتدينه . فإن الهوى ما دخل في شأن من شئون الدين والدنيا إلا أفسده .

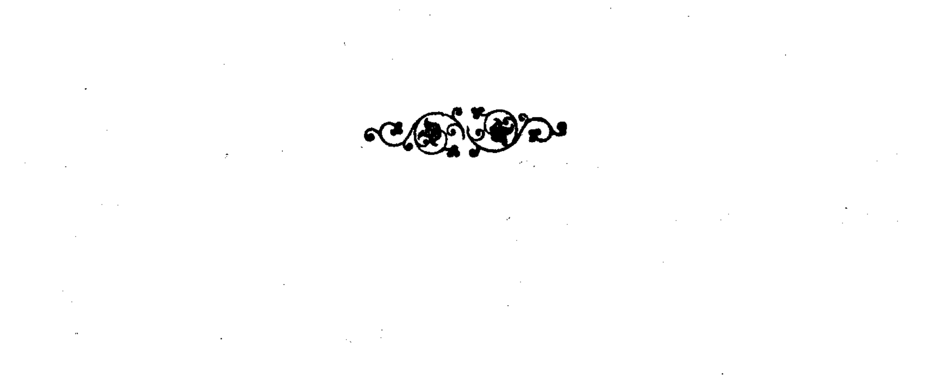
فعبّاد الأهواء لا تسلم لهم طوية ولا يستقيم لهم رأي ولا تعتدل لديهم

موازين الحكم ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم .

ولهذا عُنِيَ الإسلام بالتحذير البالغ من اتباع الهوى والانقياد الأعمى للأشياء ، فذم العاكفين على عبادة الأهواء والأغراض ، ونعي عليهم ضلالهم وانحرافهم عن الحق ارضاء لأهوائهم كما في قوله تعالى **« ان يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس »** ، **« أفرأيت من اتخذ إلهة هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ! »** ، **« فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين »** .

وهكذا طالبنا الاسلام بأن نطهر نفوسنا وسلوكنا من الأغراض الخفية ، والأهواء الدفينة ، و نحرر عقولنا وأفهامنا من الخضوع للجهل والانقياد الأعمى وأن نجعل أهواءنا تبعاً لحكم الله وشرعه .

وبهذا قام الاسلام بثورة تحريرية كبرى أطلق بها العقول من إسارها ، ودفعها للتأمل في ملكوت السموات والأرض ، ليكون الايمان مبنياً على الفهم والاقتناع لاعلى القسر والارهاب .



الإحسان

بقلم الشيخ ربيع بن هادي
المدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة

يستهدف الاسلام أن يطبع حياة المسلمين بالطابع الجميل أن يسود الحياة الاسلامية وأن يجللها جو من الاحسان الشامل بكل أبعاده وآفاقه .

أن يعم الاحسان كل عمل وكل تصرف وكل قول على كل المستويات الفردية والجماعية وعلى مستوى الدولة والأمة في علاقة الفرد بخالقه وأسرته والمجتمع الذي يعيش فيه وعلاقة الأمة بالفرد وعلاقة الدولة بالأفراد والجماعات في العلاقة بالله .

فالمسلم حينما يؤدي حقاً من حقوق الله في أي مجال من المجالات لا سيما مجالات العبادة فليؤدها وهو يتمثل فيها رؤية الله كأنما يرى الله ويشاهده وإذا لم يصل إلى هذا المستوى فليستشعر أن الله يراه وهذا الشعور أو ذاك سيدفعانه إلى إجادة العمل الذي يؤديه وإحسانه واتقانه والأمـة الاسلامية بكاملها عليها أن تستشعر هذا الشعور (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

وفي علاقة المرء بأسرته ومجتمعه عليه أن تقوم معاملته إياهم وترتكز على أساس الاحسان (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين

والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) .

فلو أن الأمة الاسلامية أبقت هذه التعاليم في حياتها وكل فرد في الأمة الاسلامية عمل على تنفيذ هذا المبدأ مبدأ الاحسان وجعل أسرته نقطة انطلاق لهذا الاحسان – بعد إحسانه في عبادة الله – الاحسان بمعناه الشامل في القول والعمل وبالمال والجهد لكانت مضرب الأمثال في السعادة والرقي والسيادة . وفي علاقة الأفراد والمجتمعات بعضهم ببعض وعلاقة الحاكمين بالمحكومين يأمر الله بالعدل والإحسان بكل أبعادهما . **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان)** .

إن الاحسان في نظر الاسلام بالمكانة العالية التي يأخذ الله على الأمة الاسلامية المواثيق الأكيدة في القيام به في جملة التكاليف التي يقوم عليها الاسلام وسعادة الأمة **(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** إلزام بالإحسان في إطار الأسرة ومحيط المجتمع إحسان في الفعال والمقال .

والاسلام يريد أن يجعل من أخلاق الأمة الاسلامية صورة من أخلاق أهل الجنة **(لا لغو فيها ولا تأثيم) (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبينا)** ورب فعلة قبيحة أدت إلى عواقب وخيمة مرة النتائج والخروج بالأقوال والأفعال عن مجال الاحسان إلى مجال الفحش والتفحش يوقع المرء تحت طائلة سخط الله وغضبه الذي لا يطاق (إن الله يبغض الفاحش المتفحش) أخرجه أحمد . فالفاحش كما يقول القرطبي الذي يتكلم بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين أو الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي وهو الجفاء في الأقوال والأفعال والمتفحش المتعاطي لذلك المستعمل له .

ليست الأماني الكاذبة والمزاعم الباطلة والانتساب إلى دين أو نحلة سبيلاً إلى الجنة إنما السبيل الأوحد إلى الجنة هو الاخلاص في الاسلام والاحسان بمتابعة رسول الله وشريعته الغـراء .

(وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وإن أردت أن يحبك الله فاتخذ من الاحسان وسيلة تنل تلك الغاية **(وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)** وإن كنت متطلعاً إلى الخلود في جنات النعيم والنظر إلى الرب العظيم فعليك بالاحسان . **(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)** فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الرب الكريم . ثم الاسلام يريد أن يشمل الاحسان كل ذي كبد رطبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بينما رجل بطريق فاشتد به العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماءً فسقى الكلب فشكر الله فغفر له . (قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ فقال في كل ذات كبد رطبة أجر ترى كيف يعلم الاسلام المؤمنين وكيف يربيهم ويدفع نوازع الخير وعواطف الرحمة إلى الاحسان والبر فتشمل كل ذي كبد رطبة ولو كان خسيساً في أحط وأدنى مراتب الحيوانات .

بينما نراه في الجانب الآخر يحرم الظلم **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا) .**

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله حتى ولو كان كافراً في ذمة المسلمين فيحرم الاسلام دمه وماله من قتل معاهداً لم يرح رائحته الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً (حم خ ن) عن ابن عمر (من قتل عصفوراً بغير حق سأله الله عنه يوم القيامة ، عذبت امرأة هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار فلا هي أطعمتها ولا سقتها حين حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض (فلا يجيز الاسلام الظلم بداية من الانسان ونهاية بالطيور والحيوانات التي لا يؤبه لها . فهذه هي الحضارة الراقية التي يحتمى في

ظلهاويعيش آمناً في كنفهاحتى من يعاديها والعصفور يقتل بغير حق يعتبر صاحبه مسئولاً عنه يوم القيامة وسجن هرة حتى تموت يعذب من سجنها بالنار والاحسان يمتد من الانسان إلى كل ذي كبد رطبة وكل ذي عرق ينبض بالحياة فأين الحضارة المادية التي قامت على أساس الكفر والالحاد وعلى الجشع والطمع فتسحق شعوباً وأمماً لتستأثر بثرواتها وتبتز خيراتها بعد أن تسلخها من مقومات حياتها الدينية والخلقية والاجتماعية ثم تتجاهل كل ما ترتكبه من جرائم فظيعة ووحشية شنيعة وترمي الاسلام بالتأخر والرجعية وبالظلم والوحشية (رمتني بدائها وانسلت) .



يافتية الإسلام

للشيخ عبدالله قادري
المشرف الاجتماعي

يــا إخوتي يــا فتية الأمجــاد   هيا بنــا نسعى لساح جهــاد

قـودوا الشباب بقــوة وشجاعة   وبنور ديــن ساطـع وقــّاد

وتحرروا مــن كــل قيد عائق   يثني عــن الاعـزاز والإسعاد

واغدوا أساتذة الأنــام وجددوا   مــا كان للآبــاء والأجــداد

وعلى مآذن كـل أرض فارفعوا   « الله أكبر » رغم كـل معادي

واحموا البرية مــن شقاء محدق   يهوي بهــا سفلاً لشر مهاد

زعموا الصعود على الكواكب رفعة   والأرض ملأى منهمو بفساد

قتــل وتشريد وظلــم فــادح   وعبــادة للمــال والأجســاد

وتآمــر متعــدد ، ثمراتـــه   ظهرت مدمرة بكــل بــلاد

ومناهج هدامة مــرت عـــلى الـ   آبــاء والأبنــاء والاحفــاد

ومحاضن شيدت لخطف شبابنــا   وغذتهمو بالكفــر والإلحــاد

حتى غدا أبناؤنا في أرضنــا   أعداء ماضينا المجيد البادي

ومن المكاسب للعدا قــد حققوا   ما لم يكن قــد دار بالأخــلاد

يــا فتية الاسلام كيف منامكم   وعدوكم كلب عقور عادي !

إن العــدو عليكمو متكالــب   ولدينكــم لا زال بالمــرصــاد

والمسلمــون شيوخهــم وصغارهم   يصلــون بالتعذيب والابعــاد

اخواننا في القــدس في اثيوبيــا   في الصين في موسكو وأرض تشاد

ومذابح الفــئران لا تخفى على   متتبعي أحداث كل بــلاد ؟

يستنصرون ويصرخون جميعهم ... وكأنما صرخاتهم في وادي
أين الأخوة والتناصر بيننا ... أين الذمام ووثبة الآساد
فابنوا لنا صرحاً منيعاً ينثني ... عنه العدو بخيبة وكساد
بل فادفعوا في نحره بجحافل ... تتلو جحافل للجهاد تنادي
وسلاحها في قلبها إيمانها ... بالله ثم الفوز باستشهاد
وعلى كواهلها عتاد رادع ... ومدمر لمعاقل الأوغاد
ودعوا المثبط والمهرج جانباً ... وذوي التواكل عاشقي الإخلاد
وامضوا بدرب مستقيم لاحب ... لا يلتوي بالسالك المرتاد
وعلى الأذى من أي صنف فاصبروا ... فالصبر وصف لازم للهادي
ولتقتدوا بأئمة قد جاهدوا ... من قبلكم في الله خير جهاد
ولترفعوا علم الجهاد مرفرفاً ... فوق الدنى في نجدها ووهاد
والمسلمون سينضوون جميعهم ... تحت اللواء إذا يناد منادي
وستفتحون قلوب أهل الأرض بالـ ... إيمان ، والبلدان بالأعتاد
فخذوا الكتاب بقوة وتمسكوا ... بحديث شافعنا بيوم معاد
وامشوا على نهج الصحاب فنهجهم ... مَلكَ العباد وساد كل بلاد
وبدون ذلك فالشقاء رفيقنا ... والذل والإيغال في الأحقاد
والمعتدون من اليهود وغيرهم ... سيواصلون سياسة الأسياد
فتناصحوا وتوحدوا وتقربوا ... لله في الإصدار والإيراد
وادعوا العباد لدينكم بفعالكم ... فالقول لا يكفي بغير جهاد
وأخص جامعة لنا قد أسست ... بمدينة الداعي البشير الهادي
جمعت شباب المسلمين ليقتفوا ... هديَ الرسول وصحبه الأمجاد
ويجددوا من طيبة بجهادهم ... في الأرض كل مآثر الأجداد
وعلى مشايخنا الكرام مهمة الـ ... ـتعليم والتثقيف والإعداد
فإلى الأمام شيوخنا وشبابنا ... فالأمر جد والجهاد يُنادي
ثم الصلاة على النبي محمد ... هادي الهداة وقائد القواد

رسالة المدرس المثالي

بقلم الشيخ : محمد المهدي محمود علي
المدرس في دار الحديث بالمدينة التابعة للجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من اصطفاه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد :

فإن الحديث عن رسالة المعلم المثالي جميل يقدر ما في رسالته من جمال وسمو ، وجمال رسالة المعلم مستمد من شرف رسالته . إنها رسالة العلم والنور والسعادة . رسالة الهدي والخير والفلاح ولقد شرف الله سبحانه وتعالى تلك الرسالة العظيمة بقوله « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وقال جل شأنه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتو العلم درجات » . وقال سبحانه وتعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .وأمر الله عز وجل المصطفى صلى الله عليه وسلم بدعاء عظيم فقال : « وقل ربِ زدني علما » .

وعلى ضوء هذا التوجيه الرباني دعا الهادي الأمين رسول الرحمة ، ومعلم البشرية ، ونبي الانسانية المصطفى صلى الله عليه وسلم . دعا الناس إلى الحرص على التعليم وعلى العلم فقال صلوات الله وسلامه عليه :

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وقال أيضاً « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » . وقال « من خرج في طلب العلم

فهو في سبيل الله حتى يرجع » . وقال صلوات الله وسلامه عليه « لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة » .

هذه الآيات الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة قرأها المدرس المثالي وفهمها ووعاها . إن الله سبحانه وتعالى كرّم العلم والعلماء ، وإن المصطفى صلى الله عليه وسلم توج هاتيك الرسالة بما يخلد شرفها — فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إنما بُعثت مُعلماً » .

ومن ثنايا هذه المعاني السامية عرف المعلم والمدرس المثالي أنه صاحب رسالة عظيمة بناءً عن الدور العظيم الذي يقوم به ويؤديه . انه يشعر بأنه يؤدي رسالة كريمة ، وهذا الشعور منبعث من شرف الرسالة نفسها : إنها رسالة أداء الأمانة أمانة العلم ثم هي بعد ذلك أمانة تكوين الشباب ، وتثقيفهم وتهذيبهم وتربيتهم تربية تعتمد عليها أمة تريد أن تحيا عزيزة كريمة ، وهل تحيا الأمة وتنهض إلاّ بشبابها العامل الناهض المتوثب الطموح إلى المعاني ، والعز ، والسؤدد .

هذه الرسالة العظيمة . بطلها المدرس المثالي ، وهذه الأمنية المنشودة بطلها المعلم الفاضل . إذاً فنحن الآن نريد أن نلقي بعض الضوء على هذا البطل العظيم وعن هذا المكافح من أجل نهضة الشباب . عماد الأمة ، وثروتها ، ومجدها . إننا نراه يرسم صورة كريمة ومثلاً أعلى يقتدى به . نراه مثالياً في اتجاهه نحو تحقيق رسالة على خير الوجوه وأكملها . تتجلى هذه الصورة الكريمة فيما يلي :

أولاً : نظرته إلى المدرسة . ثانياً : معاملته مع إدارة المدرسة . ثالثاً : سلوكه مع الزمـــلاء .

ثم بعد ذلك الناحية العلمية وتشمل على : أ — قوة المادة . ب — طريقة التدريس :

١ — ما أجمل نظرته إلى المدرسة إنه ينظر إلى مدرسته على أنها محراب

مقدس محراب العلم والمعرفة . إنها بستان وارف الظلال طيب الثمار . إنها جنة مباركة ثمارها العلم والعرفان ، والنور والإيمان ، والروح والريحان . فسعد بمدرسته وسعدت به مدرسته .

٢ — وما أسمى معاملته مع إدارة المدرسة ومع المربي الجليل مدير المدرسة إنه يتعاون مع الهيئة المشرفة على الادارة والتوجيه تعاوناً بناءاً في محبة ، وعن فن وخبرة . يقدم المعونة في تواضع ، والمشورة في احترام ، والرأي في أدب جم . ينم عن خلق أصيل ، وأصل عريق ، وبيئة كريمة ، وصفات عالية نبيلة ، ونفسية مهذبة ، وعقلية راجحة ، وثقافة ممتازة ، ولذا كان محل تقدير وإجلال واحترام من الهيئة المشرفة على الادارة ، ومحل ثقة وإعجاب ، وزمالة نبيلة من المربي الجليل مدير المدرسة .

٣ — ما أسعد الزملاء بهذا الأخ الكريم الذي تتجلى فيه صفات الأخوة الحقة إنه يعامل الزملاء في عطف ومحبة إنه يعرف معنى الزمالة النبيلة . يحترم الكبير ، ويعطف على الصغير . إنها زمالة في روضة العلم . في محرابه المقدس . إن الجميع ينظر إليه نظرة محبة وتقدير . لما يتصف به من مكارم الأخلاق العالية . إنه يدخل المدرسة فيصافح الجميع هاشاً باشاً في أدب مستفسراً عن إخوانه وزملائه . يريد أن يطمئن على جميع أسرة المدرسة ثم هو على درجة كبيرة من العلم ، والحكمة . لذا كان مرجعاً وافياً لزملائه ، يستشيرونه في حل المسائل العلمية ، فيجدونه البحر الزاخر الوافي فيتلفظ بالدر والجواهر يتحدث في أدب وحكمة . بأسلوب سهل جميل ممتع . يبحث ، ويحقق ، ويتجاذب أطراف الحديث حتى يظهر الحقيقة في جمالها ورونقها ، وبهجتها وصفائها ، ثم هو يُشعر السائل والمستفتي بالاحترام والتقدير ، والاجلال والاعجاب ، فأنس به الجميع واطمأنوا إلى علمه الذي يقدمه في حلاوة وطلاوة فيثمر الثمرة المرجوة من الاجابة والافادة والاستفادة .

تلك هي نفحة من رسالة المدرس المثالي أو هي شقة من رحيق رسالته السامية تفرعت من ثلاثة أغصان اقتطفناها من :

أولاً : نظرة المدرس للمدرسة . ثانياً : سلوكه وتعاونه القلبي مع إدارة المدرسة ومع المربي الجليل مدير المدرسة . ثالثاً : أدبه وخلقه مع إخوانه وزملائه أعضاء هيئة التدريس والسادة المربين . ونتحدث الآن عن الناحية العلمية في شخصية المدرس المثالي . لقد شب وترعرع منذ نشأته محباً للعلم ، والاستفادة ، والتزود من ثمار إنتاج العلماء المفكرين . يحرص على الاطلاع ، ويدأب على القراءة ، ويواظب على ارتشاف رحيق العلم والمعرفة متحلياً بالأخلاق العالية ، الأخلاق الاسلامية التي تجعل من الانسان إنساناً حقاً بمعنى الكلمة ترى فيه الصفاء والخير فنال الشهادات النهائية بتفوق وجدارة واستحقاق ، وحينما نال شرف الانتماء إلى الأسرة العلمية أسرة التوجيه والارشاد أسرة المدرسين والمربين ضاعف من جده واجتهاده في الارتشاف من رحيق العلم واقتطاف ثماره الطيبة المباركة انه يحرص كل الحرص على أن يكون قوياً في علومه ممتازاً في مادته . موضع تقدير رؤسائه وثقة مفتشيه ، وإجلالهم ومحبتهم . إنه يريد أن يعطي العلم حقه رغبة في رضاء الله وعشماً في أن يؤدي رسالته على خير ما يحبه الله ويرضاه كي يفوز بالسعادة في دنياه وأخراه .

إن المدرس المثالي يحرص كل الحرص على أن تكون له مكتبة يعتز بها ويحرص على تنميتها ويتفنن في تنسيقها وترتيبها وتبويبها وفهرستها على أحدث النظم وأجملها وأبدعها . تشتمل هذه المكتبة على العلوم عامة وعلى كتب المادة التي يسعد بتدريسها خاصة ، وتضم هذه المكتبة في مقدمتها مصحفاً كريماً وبعض كتب التفسير وكتب السنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية وتاريخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاريخ رجال الاسلام في عصوره المختلفة وكتب اللغة العربية بفنونها المتعددة ومن الكتب التي أنصح كل مسلم بقراءتها والحرص عليها :

أولاً — كتاب تفسير ابن كثير وهو تفسير سلفي سهل جميل ، وكتب السنّة أيضاً كلها مباركة وفي مقدمتها موطأ الامام مالك رضي الله عنه وجزاه الله خير الجزاء وصحيح البخاري رضي الله عنه وشرح صحيح مسلم للإمام

النووي رضي الله عنه وعن الجميع وهناك كتاب سهل جميل مبارك . أنصح كل مسلم بقراءته وهو كتاب رياض الصالحين مـــن كلام سيد المرسلين المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو كتاب عظيم الفائدة جمعه الشيخ النووي رضي الله عنه . هذا الامام الذي ضرب مثلاً عالياً في الورع والجد ، والاجتهاد في العلم ، ونصيحة الملوك لا يخشى في الله لومة لائم وقد كان رحمه الله حجة في الحديث والفقه واللغة ، وودع الدنيا عن خمس وأربعين سنة وترك مؤلفات ضخمة انتفع بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وفي مقدمتها شرح صحيح مسلم وكتب الفقة في مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ومن الكتب العظيمة النفع أيضاً كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكتاب الشمائل للترمذي تحدث فيه عن شمائل النبي صلوات الله وسلامه عليه وأما كتب اللغة العربية فلا بدّ للمدرس أن يطّلع على الكتب القديمة والكتب الحديثة وبذلك يجمع بين قوة المادة الموجودة في الكتب المؤلفة قديماً ، وبين سهولة عرض المادة الموجودة في الكتب الحديثة ، ولا تغني إحداهما عن الأخرى . إن الحديث عن الناحية العلمية في شخصية المدرس المثالي حديث مثمر جميل وحسبنا أننا اقتطفنا زهرة من تلك الروضة الباسمة اليانعة ، وننتقل إلى الحديث عن طريقة التدريس وعرض آثاره العلمية للطلاب — هناك طرق كثيرة للتدريس وعرض المادة وقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً في مجالات كثيرة في علوم التربية وطرق التدريس وعلم النفس ونحن الآن لا نتعرض لمسائل فنية تحتاج إلى الكثير من الوقت ولكننا سننظر إلى الثمرة فحسب .

إن إخلاص المدرس وحرصه على تفهيم الطلاب وتثقيفهم يدفعه لاختيار أحب الطرق في إلقاء دروسه فمن ذلك ما نراه من حرص المدرس على أن يضع المادة دائماً في صورة جميلة جذابة إنه تارة يسلك الطريقة الاستنباطية بأن يسير مع التلاميذ خطوة خطوة حتى يستنبط القواعد وتارة أخرى يحاول أن يستنتج من نفس الأمثلة والشواهد ولا بد للمدرس أن يستعمل السبورة في تفهيم التلاميذ وأن يضع المعلومات في جداول وأن يكتب الأمثلة وأمامها القاعدة ويوجه أنظار التلاميذ للإستنباط والاستنتاج والمدرس بحسب تجاربه وإخلاصه

للعمل يعرف كيف يوصل المعلومات لأذهان التلاميذ ولنا كلمة مع أساتذة اللغة العربية ذلك أننا يجب أن نحرص على ضرب الأمثلة الحديثة وفي نفس الوقت تربي وتغرس الأخلاق الجميلة وفي مادتي الإملاء والإنشاء نستطيع أن نعطي الطلاب موضوعات مناسبة تساعدنا على أهدافنا في تربية الشباب وصقل نفوسهم وتهذيبهم فمثلاً يضع المدرس في مادة الاملاء موضوعات بالعناوين الآتية : القرآن الكريم نور من الله — عطف الرسول صلى الله عليه وسلم وبره بالفقراء — عدالة عمر بن الخطاب — زهد عمر بن عبد العزيز — ورع الامام أحمد بن حنبل ومن الموضوعات الخلقية أيضاً الموضوعات الآتية :

مضار التدخين ويقول في هذا الموضوع مثلاً : انتشرت في بعض الأوساط عادة مرذولة وبدعة قبيحة مذمومة هي عادة شرب الدخان . هي عادة نقلها بعض الناس عن الأجانب والكفار ، وقد ثبت طبياً أن شرب الدخان يؤثر على الجسم عامة ، ويسبب له الضعف وقد قامت المعامل الحديثة العلمية بإجراء تجارب هامة على شاربي الدخان فوجد أنه يسبب سرطان الرئه ، وتصلب الشرايين وهبوط القلب .

فاحذر أيها الشاب الناشيء أن تقترب من هذه العادة القذرة التي ينبو عنها أولوا العقول السليمة والأفئدة المستنيرة وحافظ على صحتك ومستقبلك وابتعد عن هذا العمل الذي يجلب لك الضعف . والفقر ، والذل ، والهوان .

وفي مادة الانشاء مثلاً يُلقى عليهم هذا الموضوع :

« طالب ناجح يتحدث عما قام به من أعمال »

كنت أقوم من نومي مبكراً ، وأحرص على صلاة الفجر أداء لفرض الله ، وشكراً للمنعم جل وعلا ثم أستذكر الدروس بعض الوقت ثم أتناول طعام إفطاري ثم أذهب إلى المدرسة وأحرص كل الحرص على الاصغاء التام لشرح المدرس وأطيع أوامر أساتذتي وأعامل زملائي في المدرسة معاملة كريمة

انني أحرص على مصادقة الزملاء الممتازين علماً وخُلقاً وإذا عدت إلى المنزل أطيع أوامر والديّ وأحرص على استذكار الدروس .

وهكذا نرى المدرس المخلص يؤدي رسالته في إخلاص وجد وكفاح وإنتاج والمدرسون عامة وأساتذة التربية الدينية خاصة لهم دور خطير في هذه الأيام بالنسبة لسريان موجات عنيفة من التحلل الخلقي والمبادىء الهدامة البعيدة عن الدين وعن مكارم الأخلاق — التي تنتشر عن طريق بعض أجهزة الاعلام عن طريق بعض الروايات التمثيلية الأجنبية الفاجرة والاذاعات المنحلة والصحف الخليعة والثقافات التافهة — والمدرس المثالي والمربي الجليل يضرب لأبنائه مثلاً أعلى في الأخلاق بسلوكه وحسن أدبه فهو قدوة حسنة أمام أبنائه يحبب الطلاب في استذكار القرآن الكريم ويغرس فيهم العقيدة السليمة والمبادىء الحسنة والأخلاق الاسلامية يبصرهم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ويشوقهم لدراسة حياة عظماء الاسلام .

إن المعلم الفاضل يلقن أبناءه هذه الحكمة الغالية الثمينة :

إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ سير عظماء الرجال وابدأ بسير عظماء الاسلام وسترى عظمة الأخلاق في نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين . إن المـُثل العـُليا في حياة الشباب لها دور عظيم في تربية الشباب وتقويمهم وسلوكهم الطريق المستقيم ، والنشاط الثقافي مجال عظيم للمدرسين أصحاب الهمم العالية والقيم الخلقية ، فينبغي أن تنتفع بميول الطلاب ونشاطهم وتفسح لهم المجال في الانضمام إلى لجان النشاط كلٌ بحسب رغبته وميوله فمثلاً تكون هناك لجان كثيرة منها :

لجنة الخطابة والمحاضرات — الصحافة — التاريخ وأبطال الاسلام — الرحلات — النشاط المكتبي — تأليف الرسائل عن أبطال الاسلام .

وأما النشاط الرياضي فنحرص كل الحرص على ما يوافق طبيعة البلاد وما هي في حاجة إليه فمثلاً نظام الكشافة وركوب الدراجات والسيارات

وذلك بالنسبة للرحلات إلى الأماكن التاريخية وخدمة ضيوف الرحمن حجاج بيت الله الحرام – ثم المشروعات التي يقوم بها الطلاب كمشروع تشجير المدرسة وبعض الصناعات الزراعية مثل تقطير الزهور المأخوذة من المدرسة وبذلك يتكون الطالب العصامي الذي ينجح في الحياة ولا يكون عبئاً ثقيلاً على أسرته وعندما يرتفع صوت المؤذن . منادي السماء الله أكبر . الله أكبر . . . يسارع الجميع للصلاة يتقدمهم الأساتذة الفضلاء وبذلك تكون المدرسة مركز إشعاع للعلم والخير والبناء ، وتسير كما تسير السفينة إلى شاطىء النجاة وفي مقدمتها القائد والمساعدون والجند في مقدمتها المدير والمدرسون والطلاب . بسم الله مجريها ومرساها إلى الروضة الوارفة الظلال . الطيبة الثمار . هذه الروضة التي نصل إليها الآن إنما هي إيجاد مجتمع سعيد بأفراده الذين تخرجوا على يد المدرس المثالي المدرس صاحب الرسالة السامية .

أما بعد : فمن هذا الانسان الذي يسعى ليلاً ونهاراً ليغرس الفضائل في شباب الجيل . يسعى كما يسعى النحل إلى الزهور الجميلة . يقتطف منها ليحولها إلى الشهد المصفى . كي يكون شفاءً للأجسام والأرواح والنفوس . إنه عظيم في رسالته . نبيل في أدبه . عظيم في علمه وخُلقه . إنه المدرس المثالي الذي ننشده ليعمل في بلاد مباركة لكي ينشر العلم والنور في بلاد شع منها العلم والنور في البلاد المقدسة المباركة منبع الهدى والفرقان ومطلع البدر المشرق والسراج المنير المصطفى صلى الله عليه وسلم . .

مرض الأميبا

للدكتور احمد سليمان

يصيب طفيلي الأميبا الأمعاء الغليظة في أجزائه المختلفة محدثاً قروحاً حادة أو مزمنة وقد يتسرب الطفيلي إلى الكبد مسبباً خراجاً أميبياً . ويوجد طفيلي الأميبا في أحد طورين :

الطور المتحرك :

وهو ذو خلية واحدة ذات نواة واحدة وهو يغزو الأحشاء الداخلية عند وجود عدوى ميكروبية ثانوية بالأمعاء لتساعده على اختراق الغشاء المخاطي المبطن لجدران الأمعاء الغليظة .

وهذا الطور يؤذي صاحبه ولا يعدي مريضاً آخر وذلك لسرعة تأثره بحامض المعدة .

الطور المتكيس :

خلية ذات نوايا متعددة لا تزيد عن أربع نوايات وليست لدى الطور المتكيس قابلية غزو الأحشاء الداخلية . ولكنه يُعدي لعدم تأثره بالعصارة المعدية الحامضية حتى تصل إلى الأمعاء الغليظة حيث تخرج الأميبا المتحركة من أكياسها وتهاجم الأغشية المخاطية للأمعاء في وجود البكتيريا محدثة فيها قروحاً ويزيد المرض شدة في حالات نقص التغذية .

حوامل الأكياس :

قد يحمل حوالي ٥٠ ٪ من بعض مناطق سكان افريقيا وآسيا (حسب المستوى الصحي لكل منطقة) أكياس الأميبا بدون ظهور أعراض مرضية عليهم . وقد تظهر بعض الأعراض البسيطة الغامضة في بعض الحالات مثل الانتفاخ أو الإمساك أو عدم انتظام التبرز مع هبوط وزن المريض وبعض الآلام الروماتزمية والاضطرابات النفسية ويزيد ذلك أثناء التعرض للنزلات البردية أو أثناء الحمل أو الطمث أو عقب المأكولات الدسمة

والنشوية مما قد يُنسب خطأً لمثل هذه الظروف الطارئة ولذلك يجب علاج هذه الحالات علاجاً حاسماً ليس لوقاية المحيطين بهم فحسب وإنما لوقايتهم من مضاعفات ذلك المرض الخبيث .

(الدوسنطاريا)

الزحار الأميبي الحاد :

يتميز بوجود زحار (تعنية) مع إسهال ووجود دم وصديد بالبراز وهذا يكون خطراً عند وجود أعراض سوء تغذية أو حالات الاصابة بالبول السكري أو في حالات الشيخوخة .

الدوسنطاريا الأميبية المزمنة :

تكثر في المناطق الشديدة العدوى نتيجة لعدم علاج الحالات الحادة علاجاً حاسماً سريعاً . وأعراضه فترات إسهال يعقبها فترات إمساك مع اضطرابات معدية وانتفاخ بالبطن وعدم انتظام عملية التبرز ويسهل تشخيص هذه الحالات بتحليل البراز وكثيراً ما تجد الأميبا في الزائدة الدودية مكاناً هادئاً لتكاثرها فتسبب التهاباً في الزائدة وعلاج هذه الحالة طبياً وليس جراحياً .

خراج الكبد والرئة :

وقد يصل أيضاً إلى المخ والطحال والمبايض وغيرها مسببة خراجات في هذه الأعضاء ..

الوقاية والعلاج :

١ – وقاية مياه الشرب من التلوث بفضلات الإنسان .

٢ – وقاية المأكولات من الذباب وعدم السماح للأشخاص حوامل الأكياس بالعمل في المطاعم .

٣ – تطهير الخضروات قبل أكلها بوضعها في الخل أو عصير الليمون ¼ ساعة أو وضعها في ماء مغلي لدقائق قليلة .

٤ – تحاشي المثلجات المحضرة خارج المنزل .

٥ – غلي الماء قبل شربه في المناطق الموبوءة .

٦ – العمل على وقاية المطابخ وغرف الطعام من الذباب وسائر الحشرات .

٧ – علاج الحالات الحادة علاجاً حاسماً .

٨ – الدعاية والثقافة الصحية اللازمة ضد هذا المرض وتعريف الجمهور بمواطن العدوى وطرق المقاومة .

٩ – استعمال مركبات الامتين والكينولين (أنتروفيوفورم) والفلاجيل باشراف الطبيب .

تنبيه للقراء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه . أما بعد فإن الشيخ محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة لما أراد عام ١٣٩١ ه أن يطبع كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن الطبعة التي ذكر أنها الخامسة على النسخة التي وضع عليها الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله بعض الحواشي ذكر لي ذلك وطلب مني مقابلة الكتاب وتصحيحه ووضع بعض الحواشي المفيدة عليه فاعتذرت بكثرة الشغل وضيق الوقت عن تحقيق المطلوب وأخبرته أنه سبق أن قرأت حواشي الشيخ محمد حامد واتضح لي أن فيها بعض الأخطاء ووعدته التعليق عليها خاصة لإيضاح ما اتضح لي خطوءه وقد وفيت له بالوعد وسلمته بياناً بإيضاح الأخطاء التي أشرت اليها وقد وقعت في ثلاثة عشر موضعاً من الحاشية فقط فلما تم طبع الكتاب واطلعت عليه ألفيته قد نسب إليّ أنه صدر عن مراجعتي وتصحيحي وتعليقاتي ، وليس الأمر كذلك وإنما الواقع هو ما ذكرته آنفاً من مراجعة الحاشية التي للشيخ محمد حامد وبيان ما اتضح لي فيها من أخطاء .

كما ألفيته قد وضع العلامة الخاصة بتعليقي في أربعة عشر موضعاً من الحاشية ليست لي وإنما هي للشيخ محمد حامد وترك بعض الحواشي التي وضعتها فلم يُعلّم عليها بالعلامة الخاصة بتعليقي ، وبسؤاله عن ذلك أجاب بأن ذلك وقع من الطابع وليس له به علم وقد طلبت منه اليمين على ذلك فحلف عليه ما عدا ما وقع في أول الكتاب من نسبته إليّ مراجعة الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه فقد اعترف أنه وقع ذلك تساهلاً منه هو فلأجل ما ذُكِرَ رأيت أن من المتعيّن عليّ إيضاح هذا الأمر لمن يطلع على الطبعة المشار إليها من القراء حتى يعلموا حقيقة الواقع ، وهذا بيان مواضع الأخطاء :

١ — حاشية في صفحة (٤٠) ٢ — حاشية في صفحة (٨٠)

٣ — » » » (٩٨) ٤ — » » » (٩٩)

٥ — » » » (١٠٢) ٦ — » » » (١٠٨)

٧ — » » » (١٢٧) ٨ — » » » (١٤٨)

٩ — » » » (١٥١) ١٠— » » » (١٥٩)

١١— » » » (٤٣٣) س٢ ١٢— » » » (٤٣٣) س ١١

أما التي في سطر ٣ فهي صحيحة .

١٣— حاشية في صفحة (٤٥٥) ١٤— حاشية في صفحة (٥١٨)

١٥— لم يُعلّم على الحاشية التي في آخر صفحة ١٥١ وأول صفحة ١٥٢ التي أولها (وكذلك ما يُسمى من الطعام أو الشراب . الخ بعلامتي وهي من الحواشي التي وضعتها ، لا من حواشي الشيخ محمد حامد مع ملاحظة وقوع أخطاء مطبعية خفيفة في الحاشية المذكورة وهذا نص الخطأ والصواب فيها ليتمكن من لديه نسخة من الطبعة المذكورة من إصلاح ذلك :

ص	س	خطأ	صواب
١٥٢	٢	من ذلك من أن هذا	من ذلك أن هذا
١٥٢	١٧	ما لم يخالطْه	مما لم يخالطه

هذا بيان ما أردنا إيضاحه للقراء والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . .

رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الصُلح خير

بقلم : الشيخ عبدالله بن صالح المحسن
المدرس بالمعهد الثانوى بالجامعة

إن الناس في هذه الحياة على اختلاف ألوانهم وتباين لغاتهم وتباعد أقطارهم بعضها عن بعض لم يعلم عن أحد منهم في وسط المعمورة ولا في أرجائها أنه لم يحدث بينهم خصومات ومنازعات بل ان الطبيعة الغريزية لتحمل كل انسان على محبة التغلب والانتصار على منازعه أو خصمه فإن كانت صالحة فالمرء يريد استيفاء حقه وإن كانت طالحة فيريد المرء التغلب والانتصار على الخصم بأي طريق

لذا فكثيراً ما تقع الخصومات والمنازعات بين فرد وآخر وطائفة وأخرى وقرية وأخرى فلذا عُني الإسلام بهذا الشأن فأمر بالصلح ورغب فيه وجعل المصلح حاكماً نافذاً حكمه قال تعالى « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » وقال تعالى « **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس** » وقال تعالى في حق الزوجين « **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا**

إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقه) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح وللترمذي (لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) وقال صلى الله عليه وسلم (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين « تصلح بينهما بالعدل » صدقة) رواه البخاري ومسلم .

وقد أجاز صلى الله عليه وسلم الكذب في الصلح بين الناس حيث قال صلى الله عليه وسلم (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خير) رواه البخاري ومسلم ولمسلم لم يرخص في شيء مما يقول الناس أنه كذب إلا في ثلاث وذكر منها الاصلاح بين الناس كل ذلك دافع إلى الصلح في حل المشاكل المتأزمة فعلى كل مسلم أن يكون رجلاً مجاهداً في أمته وبني وطنه ومن يتصل به من غيرهم بأن يسعى بالصلح إذا وجد نار الغضب والفتنة تتأجج بالخصومات والمنازعات بين أي من الناس فليحاول التدخل فيما بينهم بالصلح ليكون حكماً عدلاً مصلحاً بينهم بأقواله وباذلاً في ذلك ما يستطيعه من أفعال ومال إذا تطلب الأمر ذلك حتى يطفىء تلك الفتنة الملتهبة أو المشاكل المعقدة ويحل بدلها السلام والوئام ولا يقول هذا ما يعنيني فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أخبر بأن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم رواه البخاري فعلى كل مسلم أن يكون دائماً مشاركاً في هذه الحياة بنفع اخوانه مسابقاً في ميادين الاصلاح والعمل المثمر مسارعاً إلى ما يؤلف القلوب ويرفع مستوى أمته ليسمو بين الورى بحسن الثناء ويسعد في آخرته عند الله إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ويقول الشاعر :

لاتزهد الدهر في عرف بدأت به
كل امرىء سوف يجزى بالذي فعلا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

وعلى المصلح أن يكون الاخلاص هو الدافع له على الصلح وأن يكون صلحه سائراً تحت لواء الشريعة فلا

ينفذ صلحاً مخالفاً للسنة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه مسلم مردود عليه لعدم صحته وقد رد صلى الله عليه وسلم الصلح الباطل في قصة العسيف حيث قال صلى الله عليه وسلم (أما الوليدة والغنم « التي اصطلحتم عليها » فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام) رواه البخاري ومسلم . فيا أيها المسلم الذي وقع في مشكلة مع غيره عليك بقبول الصلح لما فيه من الخير الكثير والابتعاد من الشر المستطير ومن أعظم الأدلة على ذلك قصة صلح الحديبية الذي ظاهره النقص والضرر على المسلمين وفي باطنه ما تجلى من المنافع العظيمة التي ظهرت لكل واحد ولما في قصة الزبير مع خصمه قال الرسول صلى الله عليه وسلم (اسق يا زبير ثم أرسل « الماء » إلى جارك مريداً بذلك الصلح فلم يوافق الخصم على ذلك فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اسق « يعني الزبير » ثم احبس الماء » حتى يبلغ الجدر (رواه البخاري) مستوعباً في ذلك حق الزبير في صريح الحكم ، فلو قبل الخصم الصلح لكان له فيه خير ، وقد تكرر الأمر بالصلح والترغيب فيه كما سبق لما يحصل في الخصومات والمشاهدات من الأضرار العظيمة من سفك الدماء وذهاب الحقوق وتجسم العداوات والاساءة والايذاء من آثارها مع ما يبذل في سبيل ذلك من الأقوال بحق وبدون حق مع أنها محرقة للقلوب داعية للهموم ومضيعة للوقت من دون جدوى ولا فائدة غالباً ، بل ضرر ظاهر وعذاب وابتلاء قد يكون مستمراً فما على المسلم إلا أن يقبل الصلح متسامحاً عن بعض حقه في اعتقاده ليرتاح من عناء تحقيق حقه وقد يضيع حقه كلياً بسبب عدم خوف خصمه من الله وخصوصاً في هذا الزمان وما فيه من زخرف القول الذي يجعل الباطل حقاً والحق باطلا مما يخالف قول الله سبحانه « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** » .

من الصحف والمجلات

نشرت مجلة التضامن الاسلامي في عددها رقم ٩ تحت عنوان موقف الاسلام من الفنون ما يلي :

وإنما يحذر الاسلام من كل لهو تشوبه المعصية لأمر الله والخروج عن قيم الاسلام وتعاليمه من كل ترويح يؤسس في القلوب الاستهانة بأمر الله والاستخفاف بحدود الشريعة وانتهاك حرماتها وإذا نظرنا في المجتمعات المعاصرة وجدنا فيها ألواناً من اللهو يطلق عليها اسم الفن وهي ذات صلة وثيقة باثارة الغرائز وهي على هذا تحقق الكسب وتكسب الشهرة ولكن آثارها في الأخلاق والتوجيه والسلوك آثاراً مدمرة إذ توحي إلى الانسان بالإنسلاخ من كل قيد والتجرد من كل خلق وتثبت فيه أن الحياة لذة ولا شيء وراءها فكيف تجد هذه الفنون الكاذبة من يدافع عنها في بعض المجتمعات الاسلامية ومن يتحمل لها الجوائز باسم التجديد والتطور مع أن قوانين الاجتماع الانساني تقف نذيراً وسنة الحضارة شاهد صدق على أن فناء الأمم وبقاءها رهن بما تؤخذ به نفسها من جد واستقامة وما تحظره في حياتها من مفاسد ونقائص والاسلام يفرق بين اللهو المباح وبين أمراض الغرائز التي تحاول أن تتسلل إلى كل مظاهر الحياة . وأن تطبع نشاط المجتمع كله بطابعه السقيم .

يستفتونك

يتولى الرد على أسئلة القراء سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية

« حكم البيع إلى أجل وبيع التورق »

س – ما حكم بيع كيس السكر ونحوه بمبلغ مائة وخمسين ريالاً إلى أجل وهو يساوي مبلغ مائة ريال نقداً ؟

الجواب : إن هذه المعاملة لا بأس بها لأن بيع النقد غير بيع التأجيل ولم يزل المسلمون يستعملون مثل هذه المعاملة وهو كالاجماع منهم على جوازها وقد شذ بعض أهل العلم فمنع الزيادة لأجل الأجل وظن ذلك من الربا وهو قول لا وجه له وليس من الربا في شيء لأن التاجر حين باع السلعة إلى أجل إنما وافق على التأجيل من أجل انتفاعه بالزيادة والمشتري إنما رضي بالزيادة من أجل المهلة وعجزه عن تسليم الثمن نقداً فكلاهما منتفع بهذه المعاملة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على جواز ذلك وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يجهز جيشاً فكان يشتري البعير بالبعيرين إلى أجل ثم هذه المعاملة تدخل في عموم قول الله سبحانه **(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)** الآية ، وهذه المعاملة من المداينات الجائزة الداخلة في الآية المذكورة وهي من جنس معاملة بيع السلم فإن البائع في السلم يبيع من ذمته حبوباً أو غيرها مما يصح السلم فيه بثمن حاضر أقل من الثمن الذي يباع به المسلم فيه في وقت السلم لكون المسلم فيه مؤجلاً والثمن معجلاً فهو عكس المسألة التي سألتم عنها

وهو جائز بالاجماع وهو مثل البيع إلى أجل في المعنى والحاجة إليه ماسة كالحاجة إلى السلم والزيادة في السلم مثل الزيادة في البيع إلى أجل سببها فيهما تأخير تسليم المبيع في مسألة السلم وتأخير تسليم الثمن في مسألة البيع إلى أجل لكن إذا كان مقصود المشتري لكيس السكر ونحوه بيعه والانتفاع بثمنه وليس مقصوده الانتفاع بالسلعة نفسها فهذه المعاملة تسمى مسألة (التورق) ويسميها بعض العامة (الوعده) وقد اختلف العلماء في جوازها على قولين أحدهما أنها ممنوعة أو مكروهة لأن المقصود منها شراء دراهم بدراهم وإنما الساعة المبيعة واسطة غير مقصودة . والقول الثاني للعلماء جواز هذه المعاملة لمسيس الحاجة إليها لأنه ليس كل أحد اشتدت حاجته إلى النقد يجد من يقرضه بدون ربا ولدخولها في عموم قوله سبحانه **(وأحل الله البيع)** وقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)** ولأن الأصل في الشرع حل جميع المعاملات إلا ما قام الدليل على منعه ولا نعلم حجة شرعية تمنع هذه المعاملة وأما تعليل من منعها أو كرهها بكون المقصود منها هو النقد فليس ذلك موجباً لتحريمها ولا لكراهتها لأن مقصود التجار غالباً في المعاملات هو تحصيل نقود أكثر بنقود أقل والسلع المبيعة هي الواسطة في ذلك وإنما يمنع مثل هذا العقد إذا كان البيع والشراء من شخص واحد كمسألة العينه فإن ذلك يتخذ حيلة على الربا وصورة ذلك أن يشتري شخص سلعة من آخر بثمن في الذمة ثم يبيعها عليه بثمن أقل ينقده إياه فهذا ممنوع شرعاً لما فيه من الحيلة على الربا وتسمى هذه المسألة مسألة العينه وقد ورد فيها من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على منعها . أما مسألة التورق التي يسميها بعض الناس الوعده فهي معاملة أخرى ليست من جنس مسألة العينه لأن المشتري فيها اشترى السلعة من شخص إلى أجل وباعها من آخر نقداً من أجل حاجته للنقد ليس في ذلك حيلة على الربا لأن المشتري غير البائع ولكن كثيراً مى الناس في هذه المعاملة لا يعلمون بما يقتضيه الشرع في هذه المعاملة فبعضهم يبيع ما لا يملك ثم يشتري السلعة بعد ذلك ويسلمها للمشتري وبعضهم إذا اشتراها يبيعها وهي في محل البائع قبل أن يقبضها القبض الشرعي وكلا الأمرين غير جائز لما ثبت عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال لحكيم بن حزام (لا تبع ما ليس عندك) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يحل سلف وبيع ولا بيع ما ليس عندك) وقال عليه الصلاة والسلام (من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه) قال ابن عمر رضي الله عنهما «كنا نشتري الطعام جزافاً فيبعث إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينهانا أن نبيعه حتى ننقله إلى رحالنا» وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً أنه نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم.

ومن هذه الأحاديث وما جاء في معناها يتضح لطالب الحق أنه لا يجوز للمسلم أن يبيع سلعة ليست في ملكه ثم يذهب فيشتريها بل الواجب تأخير بيعها حتى يشتريها ويحوزها إلى ملكه ويتضح أيضاً أن ما يفعله كثير من الناس من بيع السلع وهي في محل البايع قبل نقلها إلى ملك المشتري أو إلى السوق أمر لا يجوز لما فيه من مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما فيه من التلاعب بالمعاملات وعدم التقيد فيها بالشرع المطهر وفي ذلك من الفساد والشرور والعواقب الوخيمة ما لا يحصيه إلا الله عز وجل نسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق للتمسك بشرعه والحذر مما يخالفه. أما الزيادة التي تكون بها المعاملة من المعاملات الربوية فهي التي تبذل للدائن بعد حلول الأجل ليمهل المدين وينظره فهذه الزيادة هي التي كان يفعلها أهل الجاهلية ويقولون للمدين قولهم المشهور اما أن تقضي واما أن تربي فمنع الاسلام ذلك وأنزل الله فيه قوله سبحانه وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأجمع العلماء على تحريم هذه الزيادة وعلى تحريم كل معاملة يتوسل بها إلى تحليل هذه الزيادة مثل أن يقول الدائن للمدين اشترِ مني سلعة من سكر أو غيره إلى أجل ثم بعها بالنقد وأوفني حقي الأول فإن هذه المعاملة حيلة ظاهرة على استحلال الزيادة الربوية التي يتعاطاها أهل الجاهلية لكن بطريق آخر غير طريقهم فالواجب تركها والحذر منها وانظار المدين المعسر حتى يسهل الله له القضاء كما أن الواجب على المدين المعسر أن يتقي الله ويعمل الأسباب الممكنة المباحة لتحصيل ما يقضي به الدين ويبرىء به ذمته من حق الدائنين وإذا تساهل في ذلك ولم يجتهد في أسباب قضاء ما عليه من الحقوق فهو ظالم لأهل الحق غير مؤد للأمانة فهو في حكم الغني المماطل وقد

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مطل الغني ظلم وقال عليه الصلاة والسلام لي الواجد يحل عرضه وعقوبته والله المستعان .

ومن المعاملات الربوية أيضاً ما يفعله بعض البنوك وبعض التجار من الزيادة في القرض اما مطلقاً واما في كل سنة شيئاً معلوماً فالأول مثل أن يقرضه ألفاً على أن يرد إليه ألفاً ومائة أو يسكنه داره أو دكانه أو يعيره سيارته أو دابته مدة معلومة أو ما أشبه ذلك من الزيادات .

وأما الثاني فهو أن يجعل له كل سنة أو كل شهر ربحاً معلوماً في مقابل استعماله المال الذي دفعه إليه المقرض سواء دفعه باسم القرض أم باسم الأمانة فإنه متى قبضه باسم الأمانة للتصرف فيه كان قرضاً مضموناً ولا يجوز أن يدفع إلى صاحبه شيئاً من الربح إلاّ أن يتفق هو والبنك أو التاجر على استعمال ذلك المال على وجه المضاربة بجزء مشاع معلوم من الربح لأحدهما والباقي للآخر وهذا القسط يسمى أيضاً القراض وهو جائز بالاجماع لأنهما قد اشتركا في الربح والخسران والمال الأساسي في هذا العقد في حكم الأمانة في يد العامل إذا أتلف من غير تعد ولا تفريط لم يضمنه وليس له عن عمله إلا الجزء المشاع المعلوم من الربح المتفق عليه في العقد .

وبهذا تتضح لك المعاملة الشرعية والمعاملة الربوية .

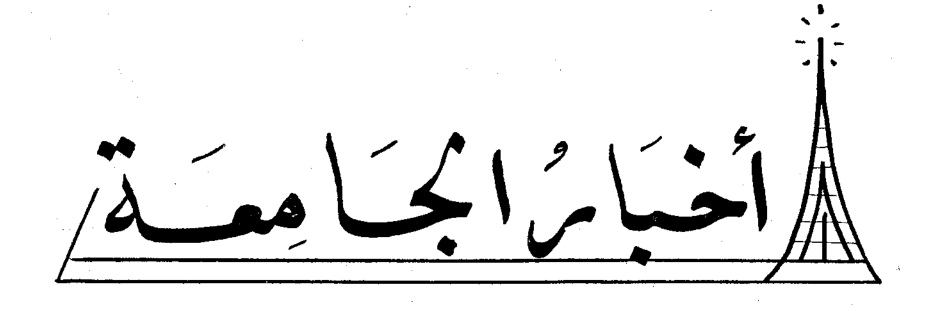
هذا سؤال من الأخ س. ع. ه يقول فيه :

أرجو التفضل بإفادتي عن تسلسل جرح البينة مثل أن يقيم المدعي بينة على دعواه ثم يقيم المدعى عليه بينة على جرحها فهل تسمع البينة لجرح بينة الجرح ولو طال التسلسل أم لا ولماذا في كلا الحالتين ؟

الجواب : قد دلّ الكتاب والسنّة على اعتبار العدالة في البيّنات كما في قوله سبحانه **(وأشهدوا ذوي عدل منكم)** وقوله عز وجل **(ممن ترضون من الشهداء)** ومعلوم أن الأصل براءة الذمة من الحقوق فلا تثبت إلا بأمر يعتمد عليه ولا ريب أن شهادة الفسّاق والمجهولين لا يجوز الاعتماد عليها

فاتضح بذلك أنه لا بدّ من العدالة في البينة والمزكين لها والجارحين لها أو للمزكين ولهذا صرح أهل العلم بأن الشهادة والتزكية والجرح إنما تقبل من ذوي العدالة والمعرفة بحال البينة المزكاة والمجروحة فعلم بهذا كله أنه لا بد من التحقق من حال البينة التي يعتمد الحاكم عليها في الحكم ولو أفضى إلى التسلسل حتى يصل إلى العدالة المطلوبة حسب الامكان فإذا لم يتيسر ذلك ساغ له الحكم بما يغلب على الظن ثبوت الحق ولو أفضى ذلك إلى تحليف المدعي مع بينته ، أما تفريق الشهود عند أداء الشهادة فينبغي أن يعمل به عند الحاجة خوفاً من تواطئهم على الكذب .

والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . .



* قام وفد من طلاب الجامعة الاسلامية بالمدينة برئاسة المشرف الاجتماعي الشيخ عبد الله قادري بزيارة لمعهد إعداد المعلمين بالمدينة وكان في استقبالهم رئيس الكشافة الذي قدمهم بدوره لمدير المعهد وقد جرى البحث في عدة مواضيع وقد زار الوفد المعامل والنوادي وشاهد أنواع النشاطات المختلفة . وبعد صلاة العشاء من ذلك اليوم عقدت ندوة حضرها مدير المعهد والمشرف الاجتماعي بالمعهد بحضور المشرف الاجتماعي للجامعة . وقد استمرت إلى ما بعد الساعة الرابعة ليلاً .

* بعد موافقة رئاسة الجامعة الاسلامية على القيام برحلة تضم مجموعة من الطلاب من شتى البلدان لأداء مناسك الحج للمشاركة في الدعوة والارشاد وتوجيه الحجاج يرافقهم بعض مشايخ الجامعة . كلفت الجامعة المشرف الاجتماعي الشيخ عبد الله أحمد قادري على أن يقوم بالاعداد لهذه الرحلة واختيار الطلاب الذين سيشاركون فيها وقد شكلت لجنة لهذا الغرض مكونة من :

١ — الأمين العام المساعد رئيساً
٢ — عميد كلية الشريعة عضواً
٣ — عميد كلية الدعوة وأصول الدين عضواً
٤ — المشرف الاجتماعي عضواً

وقد انهال عدد كبير من الطلاب للمشاركة في هذه الرحلة . واختير منهم ٤٥ طالباً وبعد الوقوف بعرفات أقيم المخيام بمنى وشارك كبار الأساتذة

بالجامعة لإلقاء المحاضرات . والفتاوي والارشادات وعلى رأسهم سماحة رئيس الجامعة الاسلامية الشيخ عبد العزيز بن باز .

* أدرك سماحة رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز أنه من الضروري الاجتماع بطلاب الجامعة اجتماعاً عادياً لا تكلف فيه . وقد أوعز إلى المشرف الاجتماعي الشيخ عبد الله القادري بترتيب ذلك .

وقد تم اللقاء الأول بين سماحته وطلاب بعثة جمهورية اليمن .

ألقى سماحته فيهم كلمة مناسبة ثم تناقش معهم في كافة المواضيع المتعلقة بهم في جو تسوده المحبة والإخاء لا تكلف فيه . وهكذا تمت اللقاءات الخيرة بجميع طلاب الجامعة على فترات .

* المشرف الاجتماعي الأستاذ عبد الله القادري يقوم باجياء الندوات الثقافية واللقاءات المثمرة بين الطلاب الساكنين في الجامعة البالغ عددهم حوالي ٦٠٠ طالب وتتلخص الندوات فيما يلي :

١ ــ كلمة من المشرف مناسبة للموضوع .

٢ ــ كلمة من الطلاب يلقيها طالب مختار .

٣ ــ مناقشات ومحاورات أدبية .

٤ ــ نوادر وفكاهات .

٥ ــ ألعاب رياضية .

٦ ــ حل مشاكل الطلاب وما يلاقونه .

وقد لوحظ بعد هذه اللقاءات تواد الطلبة وتراحمهم . وتعاطفهم فيما بينهم كأنهم جسد واحد .

العلاقات العامة

الفهرس

تابــــع الفهرس

اعتـــــذار

نعتذر للقراء الـكرام عن الاخطـاء المطبعيـة التى وقعت فى هـــذا العدد وشــكراً .

العلاقات العامـة

طبع في

مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر

في جدة